لطائف وأسرار
خصوصيات الرسم العثماني
للمصحف الشريف

تأليف

الدكتور/ عبد العظيم المطعني

أستاذ الدراسات العليا

بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

تقديم

أ.د/ إبراهيم صلاح الهدهد

عضو مجمع البحوث الإسلامية

و رئيس جامعة الأزهر - سابقاً

الجزء الأول



مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١م

تقديم

أ.د/ عبد العظيم المطعني

سيرة عقل، وحياة قلم

المولد والنشأة، وعهد البناء:

هـو : عبـد العظيم إبراهيم محمد المطعنـي ولد في ١٥ مايو ١٩٣١م فـي قرية المنصوريـة مركز كوم أمبو محافظة أسـوان، ينتهي نسـب الشـيخ إلى قبيلة الخـزرج، وانتقـل الأجداد حتى اسـتقر بهم المقام في جزيـرة المنصورية، حفظ الشـيخ القرآن الكريـم بكتـاب القريـة، وتعلـم فيه مبـادئ القـراءة والكتابة، ثـم التحق بالمدرسـة التي أنشـئت بقريتـه، وكان كثير الاطلاع والقـراءة علـى كتب أخيـه أحمد، ثـم التحق بالأزهر الشـريف بمعهـد القاهـرة عـام ١٩٥١م، وكان مجتهدًا فـي طلب العلم، وواصل تعليمه الأزهـري قبل الجامعي، وفي عام ١٩٦٢م التحق بكلية اللغة العربية وتخرج في الشعبة العامة عام ١٩٦٦م.

التحق بالدراسـات العليا في قسـم البلاغة والنقد، وحصل على درجة التخصص (الماجستير في اللغة العربية في البلاغة والنقد) عنوانها : سـحر البيان في مجازات القرآن، ثم حصل علـى الدكتوراة عـام ١٩٧٤م عن رسـالة عنوانها (خصائص التعبير في القرآن الكريم سماته البلاغية) وكان الشيخ هادئ الطبع عَفّ اللسان لينا متواضعًا، كريم النفس.

عهد العطاء:

عُيّن الشيخ مدرسًا في كلية اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٧٤م، ثم رقي أستاذا مساعدا في ١٩٨١م ثم رُقِّي أستاذا في عام ١٩٨٥م وقد عمل في عدة جامعات خارج مصر، في جامعة الملك عبد العزيز وجامعة أم القرى وعمل مستشارا تعليميا لمديرها كما عمل في جامعة البحرين، ثم عاد إلى جامعة الأزهر أستاذا بكلية اللغة العربية بإِيتاي البارود.

عمله في الصحافة والموسوعات:

عمل محررا في جريدة الأهرام لمدة ثماني سنوات، وكان عضوا في نقابة الصحفيين المصريين من عام ١٩٦٩م حتى ١٩٨١م، عمل عضوا بالمجلس الأعلى للشئون الإِسلامية في اللجنة العليا للتخطيط للموسوعات، ومحررا في الموسوعات التي أصدرها المجلس الأعلى للشئون الإِسلامية، موسوعة المفاهيم الإِسلامية، والموسوعة القرآنية، وقد ملأت مقالاته كثيرا من الصحف والمجلات، داخل مصر وخارجها.

نتاجه العلمي:

كان الشيخ من الطراز الأزهري الفريد بحر علم يتحدر، وغيث ينهمر في كثير من العلوم والمعارف، تصدى للمستشرقين والملحدين وخصوم الإِسلام، ونذر نفسه لبلاغة القرآن، والذود عنه وعن سنة المصطفى ﷺ ومن نتاجه العلمي:

مؤلفاته في مجال البلاغة:

١ـ المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع.. عرض وتحليل ونقد.

٢ـ خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية.

٣ـ ساعة مع القرآن العظيم: دراسة موجزة في أساليب القرآن البيانية.

٤ـ من قضايا البلاغة والنقد.

٥ـ البديع من المعاني والألفاظ.

٦ـ علم البيان، التشبيه البليغ هل يرقى إلى المجاز؟

٧ـ التشبيه والتمثيل بين الإمام عبد القاهر والخطيب.

٨ـ علم الأسلوب في الدراسات الأدبية.

٩ـ من أسرار النظم القرآني في سورتي الفتح والواقعة.

١٠ ـ دراسات جديدة في إعجاز القرآن.

١١ـ لطائف وأسرار خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف

١٢ـ المجاز عند ابن تيمية وتلاميذه بين الإقرار والإنكار.

١٣ـ (التفسير البلاغي للاستفهام) في أربعة أجزاء.

مؤلفاته في مجال الفقه والدعوة والثقافة الإسلامية:

١ ـ الفقه الاجتهادي الإسلامي بين عبقرية السلف ومآخذ ناقديه.

٢ـ الجائز والممنوع في الصيام.

٣ـ ملاحظات موضوعية حول فتوى إسلام المرأة دون زوجها وهل يفرق بينهما ؟ .

٤ـ مناسك الحج والعمرة على ضوء المذاهب الأربعة .

٥ـ النهي عن المنكر في مذهب أهل السنة والجماعة .

٦ـ نقل الأعضاء البشرية بين الجواز والمنع .

٧ـ العلمانية وموقفها من العقيدة والشريعة .

٨ـ المرأة في عصر الرسالة بين واقعية الإسلام وأوهام المرجفين .

٩ـ حقوق المرأة والطفل بين الإسلام والوثائق الدولية .

١٠ ـ الفراغ وأزمة التدين عند الشباب المعاصر .

١١ـ تدابير الأمن في الإسلام .

١٢ـ الحكيم في حديثه مع الله ومدرسة المتمردين على الشريعة .

١٣ـ مبادئ التعايش السلمي في الإسلام منهجا وسيرة .

١٤ـ الشفاعة حق لا ريب في الرد على منكر الشفاعة .

١٥ـ الهمزية في مدح خير البرية رائعة البوصيري عرض وشرح وتحليل .

مؤلفاته في رد الشبهات عن الإسلام وأهله:

١ـ مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه .

٢ـ افتراءات المستشرقين على الإسلام عرض ونقد .

٣ـعقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين.

٤ـأوروبا في مواجهة الإسلام.

٥ـ سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية.

٦ـ الإسلام في مواجهة الأيدلوجيات المعاصرة.

٧ـالتبشير العالمي ضد الإسلام أهدافه وسائله طرق مواجهته.

٨ـاستدراكات مراد هوفمان على الإسلام عرض وتقويم.

٩ـ أسباب زواج النبيﷺ بأمهات المؤمنين ومواجهة افتراءات المغرضين.

١٠ـالإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي.

١١ـأخطاء وأوهام في أضخم مشروع تعسفي لهدم السنة النبوية.

١٢ـالمشروع الإسلامي البديل لوثائق الأمم المتحدة.

١٣ـالحداثة سرطان العصر أو ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث.

١٤ـمصادر الإبداع بين الأصالة والتزوير.

١٥ـأبي آدم قصة الخليقة بين الخيال الجامح والتأويل المرفوض.

١٦ـ المسـيحيون والمسـلمون فـي تلمود اليهـود غرائب وعجائب.

١٧ـ جوانيات الرموز المستعارة لكبار أولاد حارتنا.

١٨ـ لماذا لا بد من دين الله لدنيا الناس؟

١٩ـ قراءات من كتاب أحمر: لينين زعلان من الشيوعية.

٢٠ـ ما يقال عن الإسلام عبر الإنترنت.

٢١ـ محمد في كتابات المستشرقين.

مرضه ووفاته:

اشتد به المرض، وتعاونت عليه الأسقام، وبُتر ساقُه، وذهب سمعُه وكان -رحمه الله- صابرا محتسبا، حتى وافته المنية يوم الأربعـاء ٢٧ من شـهر رجب، الموافق ٣٠ مـن يوليو٢٠٠٨م، وصُلِّيَـت عليـه الجنازةُ بمسـجد النور بالعباسـية، بعد سـبعة وسبعين عاما قضاها في الإسلام تعلما وعطاء ودفاعا، تقبله الله في الصالحين.

رسم المصحف توقيف أم اصطلاح؟

اختلفت آراء العلماء على رأيين:

الرأي الأول: أن الرسم العثماني توقيفي، ويحتجون لذلك بأن رسـول الله ﷺ كان لـه كتبة للوحي، وقد أجمـع جمهور الفقهاء على حرمة كتابـة المصاحف بغير الرسـم العثماني، والوجه في فهـم معنى التوقيف أنه توقيف إجماعي من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله عنه-.

الرأي الثاني: أن الرسم العثماني اصطلاحي، والوجه ـ فيما أبصر ـ أنه اصطلاح من الصحابة في عهد عثمان، وعلى كلا الرأيين لا يجوز كتابة المصاحف بغير الرسم العثماني، وسمي بذلك نسبة إلى عهد كتابته، لأن هذا الرسم يتحمل القراءات القرآنية المتواترة.

والأحناف على أنه ينبغي ألا يكتب بغير الرسم العثماني، وقد سئل الإمام مالك: هل تكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء؟ في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك، فقال: لا، إلا على الكتبة الأولى، وعند الشافعية أن رسم المصحف سنة متبعة، وعند الإمام أحمد بن حنبل أنه تحرم مخالفة خط عثمان، وقال الإمام أبو عمرو الداني: ولا مخالف له من علماء الأمة. وهكذا اتخذت الأمة الإسلامية الرسم العثماني سنة متبعة إلى عصرنا هذا، كما قال البيهقي في شعب الإيمان: واتباع حروف المصاحف عندنا كالسنن القائمة.

هل رسم المصحف معجز؟

القائلون بأن رسم المصحف توقيفي قالوا بأنه معجز، وقد ذكر العلامة ابن المبارك نقلا عن العارف بالله شيخه عبد العزيز الدباغ في كتابه الإبريز ما نصه: رسم القرآن سرٌّ من أسرار الله المشاهدة وكمال الرفعة وهو صادرٌ من النبي ﷺ وهو الذي أمر الكُتَّاب من الصحابة أن يكتبوه على هذه الهيئة فما نقصوا ولا

زادوا على ما سمعوه من النبي ﷺ وما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هو توقيف من النبي -صلوات الله وسلامه عليه- وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على هذه الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها لأسرار لا تهتدي إليها العقول وهو سر من الأسرار خصَّ الله -تعالى- به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه معجز وكل ذلك لأسرار إلهية وأغراض نبوية، وإنما خفيت على الناس لأنها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الرباني فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المقطعة التي في أوائل السور فإن لها أسرارًا عظيمة ومعاني كثيرة وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها ولا يدركون شيئًا من المعاني الإلهية التي أُشيرَ إليها فكذلك أمرُ الرسم الذي في القرآن حرفا بحرف.

ولأبي العباس أحمد بن البناء المراكشي المتوفى سنة ٧٢١هـ كتاب عنوانه: (عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل)، وتتلخص فكرته في أن الرسوم اختلفت في الخط بحسب اختلاف معاني كلماتها، وأن الصحابة لم يكن ذلك منهم كيف اتفق، بل على أمر عندهم قد تحقق، ونقل الزركشي (ت٧٩٤هـ) في كتابه البرهان (١ / ٣٨٠-٤٣٠) معظم ما جاء في كتاب ابن البناء المراكشي، وأشار السيوطي (ت٩١١هـ) في الإتقان (٤ / ١٤٥، ١٥٠). والقائلون بأنه اصطلاحي لم يقولوا بإعجاز الرسم لكنهم لم ينفوا أن للرسم دقائق وأسرارا منها ما يظهر ومنها ما يخفى ولعلماء الأمة كتابات ثرية في الكشف عن علل الرسم ودلالاته اللغوية.

هذا الكتاب

هذا الكتاب صنعة الشيخ الدكتور عبد العظيم المطعني الذي تنشره مجلة الأزهر على ثلاثة أجزاء، بذل فيه الشيخ جهدًا مباركا، وهو مصوغ بأسلوب سهل يتيح لكل قارئ أن يفهم منه، وقد مهد لكتابه بذكر المقصود بخصوصيات الرسم، وبيان الفرق بين الرسم وما ألحق بالمصحف بعد ذلك من النقط والشكل وعلامات الوقف، حيث إن الرسم ينصرف إلى هيئة الكلمة، فهي مرسومة على الهيئة المرسومة في المصحف الإمام، وقد قسم الخصوصيات قسمين، قسما ضم ما ألحق بالمصحف وقسما يتصل بالبنية، وضرب لكل قسم منهما الأمثال، وقد وضع في التمهيد إطارا عاما لهذا الموضوع وجعلها خمسة ما يحصل في بنية الكلمة حذفا، وزيادة، وفصلا ووصلا، وقبضا وبسطا، وإحلال حرف مكان آخر في بنية الكلمة، وضرب الأمثال لكل ذلك، ثم تناول الأقسام قسما قسما وبدأ بالعلامات، ثم ثنى بالخصوصيات الحاصلة في بنية الكلمة، كحذف الواو وزيادتها كقوله – تعالى:

﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ﴾

(الإسراء: ١١)

حيث حذفت الواو دون سبق جازم فما سر ذلك؟ ومثال

الزيادة قوله ـ تعالى :

﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾

(الأنبياء :٣٧)

ويتبع الشيخ المنهج الوصفي التحليلي، ويقيم كتابه على الاستقراء التام لكل هذه الظواهر في المصحف الشريف، وقد قدمناه لقراء مجلة الأزهر رجاء أن يجد القارئ الكريم ـ بإذن الله ـ ما يشفي غلته، ويقدم له ما يؤكد له أن للرسم أسرارا في أسلوب راقٍ سهلٍ؛ رحم الله شيخنا ونفعنا بما خط ذراعه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأمته.

كتبه

أ.د / إبراهيم صلاح الهدهد
عضو مجمع البحوث الإسلامية
ورئيس جامعة الأزهر- سابقًا

تمهيد

المقصود بـ(خصوصيات الرسم العثماني) هنا هو رسم بعض الكلمات رسمًا مخالفًا للرسم الإملائي الحديث بل والقديم، اللذين يعتمدان على قاعدة كلية تجري عليها كتابة كل الكلمات، تلك القاعدة هي:

(أن الكلمة تُكتَب كما تنطق) يعني أن: كتابة أية كلمة تكون مطابقة تمامًا لصورة الكلمة (الصوتية) فلا تزيد عنها حرفًا ولا تنقص عنها حرفًا، اللهم إلا في بعض مواضع قليلة يكون فيها نطق الكلمة أنقص من كتابتها، ومن أمثلة ذلك همزة الوصل فإنها تكتب في بنية الكلمة دائمًا سواء كانت في الأفعال أو الأسماء لكن نطقها لا يكون دائمًا مثل كتابتها بل تنطق أحيانًا وتسقط في النطق أحيانًا أخرى.. تنطق إذا لم يتقدم عليها مباشرة حرف عطف مثلًا، ولا تنطق إذا تقدم عليها مثل قوله تعالى:

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾

(يس: ١٣)

فهمزة الوصل هي الواقعة بين الواو والضاد وهي هنا غير منطوقة لوقوعها في درج الكلام.

أما إذا ابتدئ بها فإنها تنطق مثل قوله تعالى:

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾

(الأحزاب: ٥)

الهمــزة التي قبل الدال همزة وصل وهي –هنا– واجبة النطق لأنها ابتدئ بها ولم تقع في درج الكلام.

وهمــزة الوصل هذه لها مواطن كثيرة ترد فيها، منها ورودها قبــل لام التعريــف مثل: اليــوم، القــوم، الأرض، الكتاب.. إلخ فينطق بها في الابتداء وتسقط في الدرج.

كذلــك فــإن ترتيــل الكلمــة القرآنيــة ومــا يتبعه مــن جمل وآيــات قرآنيــة ترتيــلًا صحيحًا كمــا أنزله الله عز وجــل باتباع أحــكام التلاوة يعطي إعجازًا ومعاني جديــدة وأحكامًا لا تكون واضحــة حينما تقــرأ القرآن الكريم قــراءة عادية.. إن مد بعض الحــروف أو إظهــار التنوين والنون الســاكنة أو تطبيق الغنة في التنويــن والنون الســاكنة أو إدغام التنوين والنون الســاكنة في بعــض الحــروف الأخــرى.. بالإضافة إلــى باقي أحــكام التلاوة يعطــي المعاني الحقيقية لآيات القــرآن الكريم، فالإظهار يعني الالتصــاق والفوريــة والأمــور القطعيــة.. أما الغنــة فإنها تعطي المسافة والمهلة.

ومن المواضع التي لا يطابق النطق فيها الكتابة: كل فعل ماض يســند إلى واو الجماعة مثل: قاموا، قعدوا، أو مضارع مجزوم أو منصوب يسند إلى واو الجماعة مثل: لم يقوموا، لن يقوموا.

أو أوامــر تســند إلــى واو الجماعة مثل: قومــوا، في كل هذه المواضع فإن الألف المرســومة بعد الواو تكتب ولا تنطق سواء كان ذلك في القرآن الكريم أو في غيره.

إذن فالرسم أو الخط الإِملائي الحديث ولنصطلح على تسميته بـ(الرسم العامّ) من الآن ليكون مقابلًا للرسم الخاص للقرآن الكريم.

هذا الرسم العام قاعدته الأساسية كتابة أو رسم الكلمة على الصورة الصوتية التي تَجري على لسان القارئ إلا في مواطن قليلة يهمل الخط أو الرسم العام هذه القاعدة.

والوقوف على هذه المواطن ميسور في علم الإِملاء وقد قام كثير من المحدثين بوضع مؤلفات قيمة في هذا الفن.

ولا ريب في أن الرسم العثماني للمصحف الشريف لم يكن كله مخالفًا للرسم العام (الخط الإِملائي الحديث) في ما لا يعد ولا يحصى من الكلمات، لكنه ينفرد بأمور تخالف الرسم العام هي التي أسميناها (خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف) وهي في الواقع (خصوصيات) كثيرةٌ كثرةً مستفيضةً.

إن هذه الخصوصيات وجه جديد من وجوه إعجاز القرآن الكريم هو الإِعجاز الخطي في رسم الكلمات.

إنه منهج مبتكر في رسم المصحف لا وجود له إلا فيه.. هدى الله إليه كتبة الوحي في حياة النبي ﷺ حين كان القرآن ينزل؛ لأن هذا الرسم مأخوذ عن الوثائق النبوية التي كانت محفوظة في بيته يوم انتقل إلى الرفيق الأعلى وهي التي نسخها عثمان بن

عفان ﷺ في (المصحف الإمام) وعنه صدرت كل المصاحف[1].

ومما تجب الإشارة إليه أن رسم المصحف الموجود الآن المتداول في جميع بقاع العالم الإسلامي على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم وبيئاتهم هو الرسم نفسه الذي كتبه كُتَّاب الوحي في حضرة صاحب الرسالة ﷺ وأقرَّهم عليه، وكان الرسم المعتمد في أول جمع للقرآن الكريم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وكذلك في الجمع الثاني للقرآن في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم جميع المصاحف في جميع عصور وبيئات الأمة الإسلامية حتى هذه اللحظة.

أما الإضافات التي أُلحقت برسم المصحف بعد ذلك مثل نقط الحروف وتشكيلها بالفتح والضم والكسر والجزم وعلامات الوقف، فهذه لم تمس هيكل الكلمات وإنما هي موضوعة إما فوق الحروف وإما تحتها ولا مساس لها قط برسم أو كتابة الكلمات، الذي تم في العصر النبوي، وقد اطلعنا على ما قاله بعض المتعجلين منا نحن -المسلمين- بأنَّ ما يقال عن أسرار ولطائف خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف -قديمًا وحديثًا- إنما هو مجرد تحكم، بل ذهب بعضهم -سامحهم الله- إلى أنه يرجع إلى ضعف الصحابة الذين كتبوا القرآن بين يدي رسول الله ﷺ في معرفة أصول الخط والكتابة!

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ٤١٢، الإمام الزركشي، ط: عيسى البابي الحلبي.

وبالـغ أحدُهـم فقـال: هـذا مـن اللحـن الموجـود في خط المصحـف، والذي قـال عنه عثمـان ﷺ: «إن في القـرآن لحنًا ستقومه العرب بألسنتها»!

وذو النورين عثمان بن عفان ﷺ بريء من هذه الحماقة وهذا الغبـاء، ويتحمـل إثمَها من يرددها زورًا عنـه، فعثمان ﷺ الذي أمر بنسـخ الوثائق النبوية التي حُفظت في بيته حتى جمعها أبو بكـر في (المصحـف) ثم أمر عثمان بنسـخها في (المصحف الإمـام) بدون إحداث أي تغيير يُذكَر فـي (الوثائق النبوية) ثم صار (المصحف الإمام) الذي تمَّ تدوينه في خلافة عثمان ﷺ هو الذي نُسخت عنه جميع المصاحف اللاحقة حتى الآن، وسيظل بإذن الله كعبة المصاحف حتى يرث الله الأرض ومن وما عليها.

وهـبْ -جدلًا- أن عثمان -حاشـا لله- قال هـذه العبارة فإن الاستشـهاد بها في هذا المجال باطـل؛ لأن اللحن وصفٌ للفظ المنطوق لا للكلام المكتوب، فمثلًا (بسـم الله) ورد في رسـم المصحف (محذوف الألف) في كل موضع ورد فيه.

أما (باسـم ربك) فقد ورد الألفُ مثبتًا فيه في جميع مواضع وروده فـي القرآن الكريم، أما النطق فيهما فواحد سـواء حذف الألف من (اسـم) أو لم يحـذف، فكيف إذن تُصلِح العربُ هذا اللحن (الخطي) بألسنتها يا ترى؟

إنـه لَافتـراءٌ عظيمٌ على (ذي النورين) بـل وفيه رميٌ لعثمان بالجهـل الفاضح لو كان قال هذا الكلام وأراد منه إصلاح ما في

بعض كلمات القرآن من خصوصيات في الخط هي وجه من وجوه إعجازه العظيم.

وتيسيرًا للفهم نقول:

إن خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف تأتي على قسمين كبيرين:

القسم الأول:

خصوصيات حاصلة برموز موضوعة فوق بنية الكلمة ونكتفي منها بما اصطلح على تسميته (علامات الوقف) وهي ست وتكتب هكذا:

١- (مـ) وهي ميم صغيرة توضع على الحرف الأخير من الكلمة، ومثالها من القرآن:

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾

(يس: ٧٦)

والمعنى الظاهر وجوب الوقف على كلمة (قولهم) للفصل في زمن النطق بينهم.

٢- (لا) وهي لام صغيرة توضع على الحرف الأخير من الكلمة دلالة على امتناع الوقف عليها وقراءتها هي وما بعدها بدون فاصل زمني.

ومثالها قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾

(النحل: ٣٢)

هذه اللام الصغيرة (لا) تشير إلى منع الوقف على ﴿طَيِّبِينَ﴾ والابتداء بـ﴿يَقُولُونَ﴾ هذا معناها الظاهر ولها معنى آخر معدود من اللطائف والأسرار سيأتي قريبًا إن شاء الله.

٣- (ج) وهي جيم صغيرة توضع على الحرف الأخير من الكلمة للدلالة على أن الوقف على هذه الكلمة وعدم الوقف جائز جوازًا مستوِي الطرفين.

ومثاله قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ﴾

(البقرة: ٢٦)

وُضعت الجيم الصغيرة فوق آخر كلمة ﴿فَوْقَهَا﴾ ودلت على أن الوقف عند هذه الكلمة جائز كما أن وصلها بما بعدها ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.. جائز كذلك دون ترجيح لأحدهما على الآخر.

٤- (صلي) وهي كلمة مركبة من ثلاثة أحرف: الصاد، اللام، الياء، وتوضع كذلك على آخر الكلمة للدلالة على جواز الوقف عندها والوصل بما بعدها لكن الوصل أرجح وأقوى من الوقف، ومثالها قوله تعالى في سورة غافر:

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾

(غافر: ٦٨)

العلامة موضوعة على طرف كلمة ﴿وَيُمِيتُ﴾ إشارة على

جـواز الوقـف عندها لكن وصلهـا بما بعدهـا ﴿فَإِذَا﴾.. أقوى وأولى..

هذا هو معناه الظاهر وسـيأتي ما فيها من لطائف وأسـرار مع هذا المعنى الظاهري.

٥- (قلـي) وهي علامـة مكونة من ثلاثة أحـرف كما ترى، ومعناها الظاهري أن تدل على جواز الوقف والوصل عند الكلمة التـي توضع هذه العلامة (قلـي) فوق طرفها، لكن الوقف أقوى وأرجح من الوصل عكس ما تقدم في العلامة (صلي).

ومثالها قوله تعالى:

﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾

(الكهف: ٢٢)

وللقـارئ أن يصـل بيـن الكلمتين وهمـا: ﴿قَلِيلٞ﴾ و﴿فَلَا تُمَارِ﴾ لكنـه إذا فصـل بينهما بالوقف علـى الأولى ﴿قَلِيلٞ﴾ كان الفصل أرجح.

٦- (∴ - ∴) وهمـا رمـزان كل منهمـا مكـون مـن ثلاث نقاط على شـكل الثريًا أو على شـكل مثلث قاعدته من أسفل ورأسـه مـن أعلى، وهـذان الرمـزان متلازمان يوضـع أحدهما فـوق طرف كلمـة والآخر فـوق نهاية كلمة أخـرى، والمعنى الظاهـري الشـكلي لهذيـن الرمزين التحذير مـن الوقف على كلتـا الكلمتين اللتيـن وُضع هذان الرمـزان عليهما معًا، فإذا

وقف القارئ على الأولى لا يقف على الثانية، وإذا لم يقف على الأولى جاز الوقوف على الثانية.

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

(المائدة: ٢٦)

في هذه الآية يجوز الوقف على أي منهما منفردة، إنما لا يجوز الجمع بين الوقفين.

هذه النماذج من خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف من القسم الأول وهو ما يوضع فوق الكلمات ولا يدخل في بنية الكلمة.

القسم الثاني:

خصوصيات حاصلة في بنية الكلمة وبنية الكلمة هي الحروف المكونة منها الكلمة مثل: القاف والنون والتاء في كلمة (قنت).

وهذا النوع من الخصوصيات يعد فارقًا جوهريًا بين الرسم العام (الخط الإملائي الحديث) والرسم العثماني للمصحف الشريف، ولولا ورود هذه (الخصوصيات) لما كان بين رسم المصحف وطرائق الإملاء الحديث فرق قط أي فرق.

واللطائف والأسرار التي ترمز إليها هذه (الخصوصيات) الحاصلة في بنية الكلمة أمور تدعو إلى الدهشة والعجب حتى لو

أننا أسميناها وجهًا جديدًا من وجوه الإعجاز البياني هو (الإعجاز الخطي) لكان اسمًا على مسمى حقيقي لا افتراضي ولا ادعائي.

وتيسيرًا للفهم في هذا التمهيد نقول:

إن الإطار العام لهذا النوع من (خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف) الحاصلة في بنية الكلمة يمكن تصنيفه كالآتي:

أ- خصوصيات حاصلة في بنية الكلمة بالحذف.

ب- خصوصيات حاصلة في بنية الكلمة بالزيادة.

ج- خصوصيات حاصلة في بنية الكلمة بالوصل والفصل.

د- خصوصيات حاصلة في بنية الكلمة بالقبض والبسط.(٢)

هـ- خصوصيات حاصلة في بنية الكلمة بإحلال حرف محل حرف آخر فيها.

ذلك هو الإطار العام لخصوصيات القسم الثاني الحاصلة في بنية الكلمة، ونأخذ الآن في التمثيل لكل منها بمثال ثم نرجئ الإكثار منها إلى ما سيأتي في التفصيل:

(أ) أمثلة الخصوصيات الحاصلة بالحذف من بنية الكلمة:

- حذف الواو:

﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾

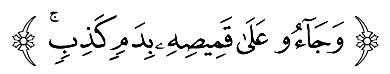
(الإسراء: ١١)

---

(٢) المقصود بالقبض هنا ورود تاء التأنيث مربوطة، مثل: نعمة، أما البسط ويسمى المد كذلك فهو ورود تاء التأنيث مفتوحة مثل: رحمت ونعمت بدلًا من رحمة ونعمة.

فـي هذه الكلمـة الحكيمة حذفت (الواو) مـن آخره ولم يسـتدع هذا الحذف عوامل نحويـة ولا قواعد صرفية فالفعل (يدعـو) معتـل الآخر بالواو ولـم يتقدم عليه جـازم يقتضي حـذف حـرف العلة، وهذا الحذف لم يقـعْ عبثًا في كتاب الله وإنما حذف لمعنى لطيف وسـر بياني آسر سيأتي ذكره قريبًا إذا شاء الله.

- حذف الألف:



﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ ﴾

(يوسف: ١٨)

في الرسـم العام أو الخط الإملائي الحديث يكتب هذا الفعل الماضي المسند إلى واو الجماعة هكذا: (جاءوا).

لكننا نراه في الرسم القرآني هكذا:

﴿وَجَآءُو ﴾

بحذف الألف، التي بعد الواو، وفي هذا الحذف رمزٌ لمعنى، -كما سـتعرف- قائـم مقام الوصف لهذا المجيء المسـند إلى إخوة يوسف عليه السلام.

ـ حذف الياء:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾

(البقرة: ١٨٦)

ب) أمثلـة الخصوصيـات الحاصلـة فـي بنيـة الكلمـة بالزيادة:

- زيادة الواو:

﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾

(الأعراف : ١٤٥)

الواو الواقعة بين الهمزة والراء في

﴿سَأُوْرِيكُمْ﴾

فريـدة فهـي لا تنطق مع وجودهـا في بنية الكلمـة ولم تأت زيادتهـا عبثا –حاشـا لله– ، بل إن هذه الزيـادة رمز للدلالة على معنى دلت عليه ، وسيأتي توضيحه بعون الله .

- زيادة الألف:

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾

(النمل : ٢١)

دقق النظر في هذه الآية ، تجد في كلمة :

﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾

ألفًا زائدة في الخط ، بعد الهمزة التي بعد لام التوكيد ، وقبل حـرف الذال التالي لهذه الألف مباشـرة ، وفي رسـم المصحف تجد هذه الألف مهملةً في النطق ، فهي مزيدة من حيث المعنى ؛ لأن لها معنًى لطيفًا سيأتي بيانه .

ـ زيادة الياء:

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾

(الذاريات: ٤٧)

انظر إلى كلمة ﴿بِأَيۡيْدٍ﴾

تجد فيها ياءين متجاورتين، جمع يد، وهذا الجمع يكتب في الرسم العام هكذا: (أيد)، بياء واحدة، إذن فإحدى اليائين في الرسم القرآني، زائدة، فهو لا ينطق بها.

هذا من حيث الخطّ، أما من حيث المعنى فهو ليس بزائد؛ لأن له ما يرمز إليه، والمعول عليه في الزيادة المحضة أن يخلو الزائد من الدلالة على معنى، وهذا لا وجود له في كتاب الله العزيز، وقبل أن ننتقل إلى التمثيل لبقية الخصوصيات ننبه القارئ الكريم إلى مواطن الحذف والزيادة التي مثَّلْنا لها، ولها نظائر بالقرآن مثل:

حذف الألف الأخيرة من أسلوب النداء (يا أيها) ومثل حذف النون من المضارع (أك) وكل هذا سنعرض لدلالته بتوفيق الله.

جـ) الفصل والوصل:

ليس المراد من الفصل والوصل هنا ما هو معروف في علم المعاني بالعلاقات بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب، من حيث عطف بعضهما على بعض بالواو خاصة، أو ترك ذلك الفصل، بل المراد معنى آخر يحدث بين أدوات المعاني

بعضهـا ببعض، وبينها وبيـن غيرها مما هو كالأدوات، مثل (ما) الموصولة، ويتضح هذا من التمثيل الآتي:

مثال الوصل:

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾

(غافر: ٤٣)

موطن الشـاهد هـو (أنما) حيث وصلت (مـا) بـ(أن) ولم يفصل بينهما فيقال: أنَّ ما تدعونني إليه.

وهـذا الوصل إنْ بـدا أنه جارٍ نهج الخـط الإملائي الحديث، فإن له في الرسم القرآني الشريف معنًى رمز إليه سيأتي بيانُه إذا شـاء الله، مع التوسع في ذكر أمثلة من الكتاب العزيز؛ لأن وراء كل السمات القرآنية أسرارًا ولطائفَ تُقنِع وتمتع في آن واحد.

مثال الفصل:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾

(الحج: ٦٢)

في هـذه الآية الحكيمة فُصلت (ما) وهو اسـم موصول عن (وأن) التـي وقعت قبلها مباشـرة حيث لم يقل: وأنما يدعون، بل قـال: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ عكس الموضـع الذي وُصلت فيه والذي تقدم ذكره آنفًا.

وهذا الفصل هنا رمزٌ لمعنى يدل عليه كالوصل هناك، سواء بسواء.

د) القبض والبسط:

هما من الخصوصيات الحاصلة في بنية الكلمة ولهما كلمات محددة يتواردان عليها، نكتفي بالتمثيل لهما بواحدة منها.

مثال القبض:

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾

(النحل: ١٨)

انظر إلى كلمة (نعمة) تجدْ تاءَها مربوطةً، وهذا هو القبض وله دواعٍ دعتْ إليه.

مثالً البسط:

ويسمى المد -كذلك- ومعناه أن تكتب بعض الكلمات المؤنثة، ومنها (نعمة) وتاء تأنيثها مفتوحة، ومثاله:

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾

(إبراهيم: ٣٤)

وهذا البسط أو المد له معانٍ يدل عليها، آتٍ شرحُها بعون الله.

هـ- إحلال حرف محل حرف آخر:

ومثاله:

﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ﴾

(البقرة: ٢٤٧)

ثم ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ﴾ (الأعراف: ٦٩)

والشاهد في كلمتي (بسطة) و(بصطة) الأولى بالسين والثانية بالصاد ولكل منهما معنى غير معنى الآخر، من أجله حدث هذا الإحلال..

ذاك هو الإطار العام لخصوصيات الرسم أو الخط المكتوب به المصحف الشريف، مع ذكر أمثلة سريعة لها، وهي خصوصيات تَشيع في الرسم الخطي لكتاب الله العزيز شيوعًا مستفيضًا، لا تخلو سورة واحدة مهما قصرت من شيء منها، وأكثرها شيوعًا حذف الألف وحذف الياء.

إن كل هذه الخصوصيات لم تأت عبثًا، بل لها دلالات وثيقة الصلة بمفهوم الإعجاز القرآني المتعددة الوجوه والسمات.

وقد حمَلَنا على الكتابة فيها أمران:

الأول: أنَّ ما تدل عليه هذه الخصوصيات من لطائف وأسرار لم يأخذ حقه من الشيوع والانتشار بين الناس -عامتهم وخاصتهم- مع كثرة الدراسات القرآنية التي تزخر بها الجامعات والمكتبات والمؤسسات العلمية والثقافية.

يضاف إلى هذا أن كثيرًا من قراء كتاب الله تلفت أنظارهم

تلك الفروقُ الكثيرة بين الرسم الخطي الإملائي الحديث، ثم لا يهتدون لمعرفة لطائفها وأسرارها، فاستخرنا الله وعقدنا العزم على تحرير هذه الصفحات، إسهامًا متواضعًا في تجلية بعض اللطائف والأسرار التي تزخر بها هذه (الخصوصيات القرآنية) ولتكون خطوة أولى في طريق شاق وطويل، وعسى أن يكون غيرُنا أقدرَ منا على رسوخ القدم فيه.

الثاني: أن دعوةً صدرتْ من بعض مدعي المعرفة، تدعو المسلمين إلى إعادة كتابة المصحف الشريف بالخط الإملائي الحديث، تيسيرًا على الناس وتسهيلًا لقراءة القرآن على كل الناس معتقدين أو ظانين أن الكلمات القرآنية المكتوبة بغير الخط الإملائي العامّ تخلو من الدلالة على أيّ معنًى من المعاني.

قالوا هذا بحسن نية، وتحدثتْ الصحفُ المصرية والعربية عن تلك الدعوة، ما بين مؤيد ومعارض.

هذان الأمران هما اللذان حفَّزَانا على تقديم هذه الدراسة، وسنبين -بإذن الله- ما في تلك الخصوصيات من الأسرار واللطائف، على هَدْي ما عثرنا عليه من بعض القواعد في كتب السلف وما منَّ الله به من إضافات على النسق الذي تركه علماؤنا الأقدمون -رضي الله عنهم أجمعين-.

القسم الأول
خصوصيات حاصلة برموز موضوعة فوق بنية الكلمة

كنـا قـد أشـرْنا إلـى (علامـات الوقـف) فـي مقدمـة تلك الخصوصيـات التي انفرد بها رسـمُ الكلمـات القرآنية؛ لذلك كان من الأوفق أن نبدأ ببيان لطائفها وأسرارها وما ترمز إليه من معانٍ رائعةٍ من أجلها كانت تلك (العلامات أو الخصوصيات).

(علامات الوقف) هي:

(ج – صلـى – قلـى – لا – مـ – ...) ويلاحظ أن رسـم هذه العلامات يكون أصغر من رسـم الكلمات القرآنية، وأنها توضع فوق بعض كلمات الآية، في أماكن خاصة بها، وليس منها شيء يوضع أسـفل الكلمـات قطّ وهي كثيرة الوجـود في المصحف الشريف.

كُتـبُ علـومِ القـرآن لا تذكـر لهـذه العلامـات إلا المعاني الظاهريـة كاسـتواء الوقـف والوصل، أو ترجيـح أحدهما على الآخر، مما يتصل بقراءة القرآن وآداب تلاوته، وجودة أدائه.

أما مـا ترمز إليه هـذه (العلامـات) أو (الخصوصيات) من معـانٍ جعلـت الوقفَ والوصلَ مسـتويين في التـلاوة أو جعلت أحدهمـا أرجح من الآخـر أو جعلت الوصل ممنوعًـا أو واجبًا، فهـذا لم يتطرقْ إليـه البحثُ في كتب القوم ولا في الدراسـات

القرآنية قديمًا وحديثًا، مع أن هذا النوع من الدراسة يخدم قضية الإعجاز القرآني والبيانـي خدمة جليلة، نطمع في إدراك القارئ لها وهي تتجلَّى بين ناظريه، صفحة تلو صفحة إن شاء الله.

هذا، وقد جرت عادة كتبة المصاحف الشريفة أن يذكروا في بيان التعريف بالمصحف الذي يثبتونه في نهاية كل مصحف، جرت عادتهم على أن يذكروا بعض مواضع من الآيات القرآنية، يستشهدون بها على توضيح المراد من كل علامة من علامات الوقف، من حيث جواز الأمرين (الوقف، والوصل) جوازًا مستويَ الطرفين، أو امتناع (الوصل)، أو ترجيح أحدهما على الآخر.

وها نحن أولاء نذكر ما استشهدوا به، ونخطو بالدرس إلى ما لم يقولوه من اللطائف والأسرار، بيد أننا سنؤخر الحديث عن الوقف اللازم، والوقف الممنوع مع بيان الفرق بينهما، إلى نهاية المطاف في هذا الفصل؛ لأن العناية بهما واجبة، فنقول -وبالله التوفيق- ومنه العون:

العلامة الأولى (ج)[3]:

ذكرَ كتبةُ المصاحف للاستشهاد على المعنى المراد من هذه العلامة قوله تعالى:

---

(٣) عددنا العلامة (ج) أولى باعتبار التناول في هذه الدراسة لا باعتبار ذكرها في التعريف بالمصحف.

﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾

(الكهف : ١٣)

علامة الوقف (ج) موضوعة فوق (القاف) من كلمة (الحق) ومعناها الظاهري أن القارئ مخير بين الوقف على كلمة (الحق) ثم البدء بكلمة (إنهم) وبين الوصل في الكلمتين (الحق) و(إنهم).

وأن كلًا من الوقف والوصل جائز بلا ترجيح أحدهما على الآخر، أما ما لم يذكروه من اللطائف والأسرار في هذه الآية الكريمة فهو الآتي:

أن جملة

﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّ ﴾

وجملة

﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ ﴾

بينهما تناسب وصلة حميمة: فالجملة الأولى خبرية لفظًا ومعنًى، والجملة الثانية خبرية مثلها لفظًا ومعنًى كذلك.(٤)

ثم إن الجملة الثانية بيان لمعنى مطويٍّ في الجملة الأولى حيث لوَّحتْ الجملة الأولى بكشف اللثام عن فتية الكهف،

---

(٤) الجملة الخبرية هي ما دلت على حدثٍ وقع قبل زمن التكلم بها لأول مرة أو على حدث يقع في زمن التكلم مثل: «نقول – نكتبُ». أما الجملة الإنشائية فهي ما دلت على حدث يقع بعد زمن التكلم مثل: أدِّ الحقوقَ لأصحابها.

وجاءت الجملة الثانية موفية المعنى الذي لوحت إليه الجملة الأولى، وكشفت عن حقيقة (أصحاب الكهف)، هكذا:

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾

لذلك كان الوقف والوصل جائزين جوازًا مستوي الطرفين، دونما ترجيح لأحدهما على الآخر.

ومثل هذه الآية قوله تعالى:

﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

(البقرة: ١٩)

علامة الوقف المستوِي الطرفين (ج) موضوعة على كلمة ﴿ٱلْمَوْتِ﴾ وهي خاتمة جملة خبرية ﴿يَجْعَلُونَ﴾ والجملة التالية لها جملة خبرية.

﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

لذلك استوى وصل الجملتين والوقف بينهما.

وليس اعتبار الوقف والوصل مستويين محصورًا في الجملة الخبرية والإنشائية بل له اعتبارات يضيق المقام عن مجرد الإشارة إليها.

العلامة الثانية (صلى):

والآية التي استشهد بها كتبةُ المصاحفِ على المراد من هذه العلامة هي قوله تعالى:

﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾

(الأنعام: ١٧)

هـذه العلامـة (صلى) ترمز إلى جواز الوقـف والوصل بين شـطري الآيـة اللذَيْـن ينتهي أولهمـا بكلمـة ﴿هُوَ﴾ ويبدأ الثاني بكلمة ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ﴾ بَيْد أن الوصل أرجح أو أقوى من الوقف.

ومعلـوم أن الجملتيـن خبريتـان لفظًـا ومعنًـى، وهمـا تتعاونان في الإفصاح عن سـنةٍ لله في خلقه، هي أن الله وحده هو المتصرف في شئون عباده.

وإذا وقف القارئ على كلمة ﴿هُوَ﴾ فاصلًا بين الجملتين صحَّ أداؤه، وإن وصل بين الجملتين صحَّ أداؤه، مع كونه أدقَّ وأنسب من الوقف، وهذا منظور فيه إلى جانب المعنى.

والمعنى في الجملة الأولى:

﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾

يجذب نفوس العباد ومشـاعرهم إلـى الله -عز وجل- من حيث دفع المضار.

والمعنى في الجملة الثانية يجذب نفوس العباد ومشاعرهم نحو الله جل وعلا من حيث جلب المنافع وزيادة الفضل.

فالوقف جائزٌ باعتبار الفرق بين دفع مضرة قائمة بالعبد،

إذا دُفعت عنه رجع العبدُ إلى أصل السلامة قبل الإِصابة بها.

والوصل أولى وأنسب باعتبار أن كلًا من دفع المضرة وجلب المنفعة نعمتان محبوبتان عند العباد.

هذا هو السر الذي يومئ إليه كلٌّ من الوقف والفصل في هذا الموضع من هذه الآية الكريمة.

والوقف والوصل في آداب تلاوة القرآن شبيهان بالفصل والوصل في علم المعاني أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة.(٥)

وعلماء علوم القرآن لم يتعرضوا لهذه المعاني والأسرار، وإنما كان قصدُهم إرشاد قراء كتاب الله العزيز إلى جودة تلاوته من حيث الأداء اللفظي.

ونظير آية الأنعام قوله تعالى:

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ (البقرة: ٧)

الملاحظ أن علامة الوقف (صلي) موضوعة في الآية على كلمة ﴿سَمۡعِهِمۡ﴾ للدلالة على جواز الوقف عليها، وجواز وصلها بما بعدها وهي:

---

(٥) الوقف –ويسمى الفصل– والوصل في علوم القرآن أساسهما الزمن أي السكوت وعدم السكوت، أما الفصل والوصل في علم البلاغة فهما خاصان بالعطف بالواو بين الجمل المُعرَبة وترك ذلك العطف.

مع كون الوصل أولى من الوقف.

وجواز الوقف على اعتبار أنَّ ما حكم به على الأبصار مغاير لما حكم به على القلوب والسمع.

فالذي حكم به على القلوب والسمع هو (الختم) والذي حكم به على الأبصار هو (الغشاوة)؛ لذلك جاز الوقف.

أما جواز الوصل مع أولويته، فمنظور فيه إلى أنَّ كلًا من الختم على القلوب والأسماع، والغشاوة على الأبصار، من الموانع التي حالت بين الذين كفروا وبين الانتفاع بما أنزل الله على رسوله من الإنذار والتخويف إذا لم يؤمنوا، ويتبعوا هدى الله.

وكان الوصل أولى من الوقف؛ لأن في الوصل إسراعًا إلى اكتمال ذكر تلك الموانع التي حالت بينهم وبين الإيمان بالله وما أنزله على رسوله.

والآية التي قبل هذه الآية مهَّدتْ لتصور هذا الفهم وهي قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (البقرة: ٦)

فكان عدم الإيمان نتيجة لانغلاق حواسهم ومداركهم أمام الهدي الذي جاء به محمد ﷺ مع ملاحظة أن كلًا

من الجملتين خبرية، وجاء حكم الوقف والوصل بينهما لاعتبارات بلاغية أخرى غير معنى (الخبرية).

العلامة الثالثة (قلى):

وظيفة هذه العلامة تتفق ووظيفة العلامة (صلي) من جهة، وتختلف معها من جهة أخرى.

تتفق وظيفتهما في جواز الوقف والوصل، وتختلف وظيفة (قلي) عن وظيفة (صلي) في أن الأولى يكون الوقف معها أولى، أما الثانية فيكون الوصل معها أولى كما تقدم.

والشاهد الذي ذكره كتبةُ المصاحفِ الشريفة على المراد من العلامة (قلي) هو قوله تعالى:

﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾

(الكهف: ٢٢)

العلامة (قلي) في هذه الآية موضوعة فوق حرف اللام الأخير من كلمة ﴿قَلِيلٞ﴾.

وترمز إلى جواز الوقف عليها، وجواز وصلها على ما بعدها أي بـ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ﴾

وتشير (قلي) إلى أن الوقف على ﴿قَلِيلٞ﴾ أولى من وصلها بما بعدها، وإلى هنا تنتهي مهمة علماء علوم القرآن.

أما أسرار ولطائف أولوية الوقوف على الوصل فتظهر من

النظر الدقيق في الجملتين معًا، وعلى النحو الآتي:
الجملة ﴿مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٌ﴾
جملة خبرية لفظًا ومعنى، والجملة
﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ﴾
جملة إنشائية لفظًا ومعنًى، فبين الجملتين إذن نوع تغاير واختلاف، كان هو السبب في تقديم الوقوف وأولويته على الوصل. ونظير هذه الآية قوله تعالى:
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾
(البقرة: ١٣)
العلامة (قلي) موضوعة على نهاية كلمة ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾
للدلالة على جواز الوقف عليها، ووصلها بما بعدها، وهو
﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾
مع أولوية الوقوف على الوصل.
وجواز الوقف والوصل كان على أساس أن الجملة الثانية
﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾
تعقيب حاسم على قول المنافقين:
﴿أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾
يصفون أتباع محمد ﷺ من أمثال أبي بكر وعثمان وغيرهما بالحماقة والطيش.

فـرد الله عليهـم وصفهـم للمؤمنيـن بالسـفاهة، حاصرًا الوصـف بالسـفه فيهم هـم لا يتعداهم إلـى غيرهـم، مُبرِّئًا المؤمنين منه.

فمَـن فصـلَ بين الجملتين فقـد صحَّ أداؤه وحَسُـنَ، ومن وصل بينهما صحَّ أداؤه وحَسُنَ.

أما الوقـف فهو أولى من الوصل، وهذه الأولوية يكشـف سرها الدقيق النظرُ المتأني في الجملتين، وذلك على النحو الآتي:

الجملة الأولى:

﴿أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾

كلام قاله المنافقون، حكاه الله عنهم.

أما الجملة الثانية:

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾

فهي كلام الله -عز وجل-.

إذن: فبيـن الجملتيـن تغايـرٌ واضـحٌ، هذا التغير حسَّـن الوقف على الوصـل زيادة في التمييز بين كلام الله الخالص، وبيـن كلام المنافقين الذي حكاه الله -عز وجل- عنهم. أمَّا الوصـل ففيه إيهامٌ خاطفٌ إلى أن الجملـة الثانية من تمام ما حكاه الله عن المنافقين، والأمر ليس كذلك.

العلامة الرابعة (∴ ∴):

وتسمى هذه العلامة عند علماء علوم القرآن (علامة تعانق الوقف) بحيث إذا وقف على أحد الموضعين لا يصح الوقوف على الآخر.[٦]

ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى[٧]:

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (المائدة: ٢٦)

وهذه العلامة تمتاز بأنها مزدوجة لا مفردة مثل بقية علامات الوقف الخمس الأخرى.

ومعناها المتصل بالأداء التلاوي للقرآن هو عدم تكرار الوقف على الموضعين اللذين توضع فوقهما، فإذا وقفتَ على الأول فلا تقفْ على الثاني، وهكذا.

أما اللطائف والأسرار في منع تكرار الوقف على الموضعين، فإنه يتجلى في التأمل في معنى الآية الكريمة، وهذا على النحو الآتي:

لو وقفَ قارئُ القرآن على كلمة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ثم وقف على كلمة ﴿سَنَةً﴾ لترتَّب على هذا الوقف المتكرر انقطاع

---

(٦) راجع التعريف بمصحف المدينة المنورة.

(٧) عدلنا عن الشاهد الذي ذكره كتبة المصحف إلى هذا الشاهد؛ لأنه أوضح في الدلالة على المراد.

صلة ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾ بما قبلها وبما بعدها، وهذا لا يصح تلاوةً ولا معنًى؛ لأنها -أعني كلمة: ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾- لا بد لها من كلام تتعلق به، وهي إذا انفردت لا تكفي للدلالة على معنى يحسن السكوت عليه، لا من المتكلم، ولا من السامع؛ لأنها ظرف زمان ينبغي أن يتعلق بغيره في الكلام.

أما إذا وُقفَ على الموضع الثاني دون الأول، هكذا

﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾

فيكون المعنى تامًا؛ لأن ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾

تكون ظرفًا للتحريم المدلول عليه بـ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ﴾

وكذلك إذا وُقفَ على الموضع الأول دون الثاني، هكذا:

﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾

وتكون ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾

ظرفًا أو مفعولًا فيه للتيه في الأرض.

فأنت ترى أن المنع من الوقف على الموضعين معًا كان من أجل صحة المعنى، فهو عنصر أصيل من عناصر الدلالة، واستقامة البيان، مثل كل ما في الرسم العثماني للمصحف الشريف، ومن لم يُحِطْ علمًا بهذه اللطائف والأسرار يتوهم أنَّ ما في الرسم العثماني من (خصوصيات) انفرد بها رسم المصحف، مظهرٌ من مظاهر الترف، لا معنى لها في نفسها ولا في غيرها.

ومن هنا جاءت الدعوة المشبوهة لإِعادة كتابة المصحف بالخط العام أو الإِملائي الحديث.

ولا يشفع لهؤلاء المنادين بهذه الدعوة حُسْنُ نيتهم؛ لخطورة ما يدعون إليه وفساده.

العلامة الخامسة (لا):

هذه العلامة إذا وُجدت موضوعةً فوق نهاية كلمة في آية، كان معناها الرامزة إليه هو: منع الوقف على تلك الكلمة، بل توصل في التلاوة بما بعدها، ولها مواضع كثيرة في كتاب الله العزيز، والشاهد الذي ذكره كتبة المصحف الشريف لتوضيح المراد من هذه العلامة، هو قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(النحل: ٣٢)

إذا رجعت إلى المصحف في الموضع المشار إليه، وجدت هذه العلامة (لا) موضوعة فوق نهاية كلمة ﴿طَيِّبِينَ﴾ لتحذر قارئ القرآن من الوقوف فوق نهاية هذه الكلمة، بل يوصل بما بعدها بدون فاصل زمني يذكر.

هذا ما يراد من هذه العلامة من حيث وجوه الأداء اللفظي (التلاوة) لمفردات القرآن وتراكيبه، ولا ترى كتبةَ المصحف يخطون خطوة واحدة بعد بيان هذه المهمة، وهي

كما يقول بعض الدارسين تمثل القشرة السطحية لتلاوة القرآن المجيد.

أما دقائق ولطائف وأسرار منع الوقف مع هذه العلامة، فهي تتعدد بتعدد مواضع ورودها في الذكر الحكيم، ولا تنحصر في لطيفة واحدة.

وبيان هذه اللطائف والأسرار أحرى بأن يكون مهمة علم البلاغة والبيان ومباحث الإعجاز القرآني الأدبي، وفي سبيل الوصول إلى لطائف منع الوقف نسأل هذا السؤال:

لماذا يمتنع الوقف على كلمة ﴿طَيِّبِينَ﴾ في هذه الآية؟

والجواب من وجهين:

الأول: أن كلا من كلمتي ﴿طَيِّبِينَ﴾ و﴿يَقُولُونَ﴾ التي بعدها حالان من حيث الحكم الإعرابي.

فـ ﴿طَيِّبِينَ﴾ حال من الضمير ﴿هُمُ﴾ في قوله: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾، و﴿يَقُولُونَ﴾ حال من ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ في قوله: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

الأولى: ﴿طَيِّبِينَ﴾ حال من المفعول، وهم المتوفون.

والثانية: ﴿يَقُولُونَ﴾ حال من الفاعل، وهم ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ والحال وصف في المعنى ووصف الفاعل، والفاعل عمدة في الجملة، إذا فُصل عن صاحبه بالسكوت عقب ذكر وصف

المفعـول، كان في ذلك نـوع إخلال بكمال البيـان، فلذلك لا يقال هنا:

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾

ثم يسكت القارئ، ثم يقول بعد لحظة

﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾

وإنمـا يواصل تلاوة الآية بلا فاصـل زمني بين الموصوف ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وبين وصفه ﴿يَقُولُونَ ﴾.

وبقيت لطيفة أخرى في منع الوقف هنا، وهي الإسراع إلى ذكر البشرى التي يبشرها الملائكة، لمن يتوفونهم من عباد الله الصالحين.

وهذه البشرى تتكون من جزأين:

الأول :سلام عليكم.

والثانـي: ادخلـوا الجنة، والوقف علـى ﴿طَيِّبِينَ ﴾ يؤخر هذه البشـريات بمقدار زمـن الفصل السـكوتي بين كلمتي ﴿طَيِّبِينَ ﴾ و﴿يَقُولُونَ ﴾.

وللزمن في علم البلاغة ميزان دقيق حساس، ذو شأن عظيم.

ونظير هذه الآية قوله تعالى:

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ ﴾

(التوبة: ٣)

العلامة (لا) موضوعة فوق نهاية كلمة ﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ قبل كلمة ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾.

ومعناها منع الوقوف على كلمة ﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ تلاوة.

أما سر أو لطيفة هذا المنع، فلأن «رسول» معطوف على مضمون جملة:

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾

أو الواو التي قبل (رسوله) للاستئناف.

وإن كان التقدير في المعنى: (ورسوله بريء منهم) فالبراءة من المشركين حاصلة من الله، ومن رسوله.

وكمال البيان هنا يتوقف على وصل ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ بما قبله، فإذا تم الوقوف على ﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ حدثت جفوة عارضة بين البراءتين، لذلك امتنع الوقف هنا لئلا يقطع بين النظيرين، وهما براءة الله من المشركين وبراءة رسوله منهم.

العلامة السادسة (م):

هذه الميم الصغيرة رمز في علوم القرآن إلى الوقف اللازم ولها مواضع عديدة في الذكر الحكيم، والشاهد الذي ذكره كتبة المصحف الشريف على توضيح المراد من هذه العلامة تلاوة وهو :لزوم الوقف، هو قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ (الأنعام: ٣٦)

يعني أن قارئ هذه الآيــة، ونظيراتها، يلزمه الوقوف على كلمــة ﴿يَسۡمَعُونَ﴾ الموضوع علامة (مـ) على نهايتها. هذا من حيث التلاوة، أما سر ولطيفة هذا الوقف اللازم من حيث المعنى فسيتضح من الآتي:

من دقق النظر في الآية يظهر له أن معنى الجملة الأولى:

﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَ﴾

هــو قصر الاســتجابة لنــداء الحق علــى ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَ﴾ دون غيرهم، قصر صفة (الاســتجابة) على موصوف ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَ﴾، ولــو لم يقف القــارئ على ﴿يَسۡمَعُونَ﴾ بل وصل بها قوله تعالى:

﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾

لَأَوْهَم هذا الوصل فســاد المعنى، لأنه يلزم منه أن الموتى شركاء في الاستجابة لنداء الحق للذين يسمعون، ولأوهم أن الواو في ﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ واو عطف تُشــرك ما بعدها، (الموتى) مع ما قبلها ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَ﴾ في الحكم وهو الاســتجابة مع أن هذه الواو اســتئنافية تخص ما بعدها بالحكم المحكوم به عليها.

فتأمــل مــا يؤديــه هــذا الوقــف اللازم مــن خدمــة المعنى ورعايته، حتى لا يلتبس على بعض الأفهام.

ونظير هذه الآية قوله تعالى:

﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾

(النساء: ١٧١)

العلامة موضوعة على نهاية كلمة ﴿وَلَدٞۘ﴾ إشارة إلى لزوم الوقف عليه في التلاوة، أما ما يدل عليه الوقف من حيث المعنى، فهو أن من يتلو هذه الآية إذا لم يقف على كلمة ﴿وَلَدٞۘ﴾ ووصلها بما بعدها هكذا:

﴿وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾

لأوهم هذا الوصل أن الولد المنفية نسبته لله هو ولد له ما في السماوات والأرض، ويترتب على هذا من حيث الوهم أنه لا مانع من أن يكون لله ولد ليس له ما في السماوات والأرض؟! والمعنى معنى فاسد كما ترى.

أما الوقف على ﴿وَلَدٞۘ﴾ فقد أفاد من أول الأمر نفي الولدية المدعى نسبتها لله نفيًا مطلقًا.

كما أفاد أن الضمير المجرور في ﴿لَّهُۥ﴾ الثانية في الآية هو كناية عن اسم الجلالة (الله)، أما مع عدم الوقف فقد يقع في بعض الأفهام الموهومة أن هذا الضمير لـ ﴿وَلَدٞۘ﴾ وليس لله.

من أجل محو هذه الهواجس الباطلة كان الوقوف على كلمة ﴿وَلَدٞۘ﴾ لازمًا تلاوة حماية للمعنى من الفساد.

نكتفي بهذه الأمثلة في بيان لطائف وأسرار علامات الوقف في الذكر الحكيم وما أكثرها، وما أروعها، وما أحراها أن تدخل في وجوه الإعجاز للقرآن الكريم، على أن يسمى بـ «الإعجاز الخطي»، وأن يوليها العلماء عناية تليق بها، وحبذا لو فكرنا في عمل تفسير جديد للقرآن، يكون مقصورًا على بيان لطائف الرسم العثماني للمصحف الشريف بادئين بعلامات الوقف.

-أما الفرق بين الوقف الممنوع والوقف اللازم، فيمكن بيانه في الآتي:

إذا رجع القارئ الكريم إلى الأمثلة الأربعة، المذكورة في مبحثي الوقف الممنوع والوقف اللازم تبين له:

أن الوقف الممنوع يؤدي عدم مراعاته إلى خلل عارض في كمال المعنى المراد.

أما الوقف اللازم فيؤدي عدم مراعاته إلى إيهام عارض من فساد المعنى.

فالممنوع عدم مراعاته أخف ضررًا من عدم مراعاة اللازم.

القسم الثاني:
خصوصيات حاصلة في بنية الكلمة

حذف وزيادة الواو:

١- حـذف الواو:

من الخصوصيات الملحوظة في الرســم العثماني للمصحف الشــريف التي لم ترد في غيره من مناهــج الكتابة خصوصيتان متعلقتان بحرف الواو وهما :

–حذف الواو لغير علة نحوية أو صرفية.

–زيادة الواو لغير علة لغوية.

والمواضــع التي حذفــت فيها الواو هي أربعــة أفعال في أربع آيات في أربع سور وهي على الترتيب المصحفي :

الموضع الأول:

﴿ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴾

(الإسراء : ١١)

الموضع الثاني:

﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾

(الشورى : ٢٤)

الموضع الثالث:

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾

(القمر : ٦)

الموضع الرابع:

﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾

(العلق : ١٨)

أعد النظر في هذه الأفعال الواردة في الآيات الأربع وهي : ﴿يَدْعُ﴾ في سورتي الإسراء والقمر و﴿وَيَمْحُ﴾ في سورة الشورى و﴿سَنَدْعُ﴾ في سورة العلق فإنك ترى الواو قد حذفت من آخر هذه الأفعال وأن حذفها لم يكن لعلة نحوية حيث لم يتقدم على أي فعل منها عامل جزم يقتضي حذف هذه الواو ولم يكن لعلة صرفية إذ لا مانع صرفيًا من مجيء هذه الأفعال كاملة الأصول هكذا : يدعو ، يمحو ، سندعو .

ومع هذا لم يأت هذا الحذف اعتباطًا خاليًا من الدلالة على معنى .

إذن ، فلماذا حذفت الواو من هذه الأفعال ؟

وما هي اللطائف والأسرار التي يرمز إليها هذا الحذف ؟

أجاب الإمام الزركشي على هذا السؤال إجابة مجملة فقال : « وقد سقطت - يعني الواو - من أربعة - أفعال تنبيهًا على

ســرعة وقوع الفعل وســهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود »[٨] .

فهــذه ثلاث لطائــف تضمنها هذا الــكلام دل عليها الحذف هنا وهي :

ســرعة وقــوع الحــدث المدلــول عليــه بالفعــل المحذوف (واوه) .

يسر وسهولة الفعل على الفاعل .

ســرعة وشــدة قبول الطــرف الأدنــى المنفعل بهــذا الفاعل المتأثر به .

وبيان ذلك في الآتي :

آية الإسراء جاء فيها :

﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾

بعض المفسرين كالزمخشــري قال : إن المراد بالإنسان في الآيــة هــو الكافر وذكر رجــلًا معينًا من الكفــار[٩] بيد أن حمل المعنى على جنس الإنســان وأن القرآن هنــا يتحدث عن طبيعة البشر – عامة – هو الأولى لا حصر المعنى في طائفة بعينها ولا في شخص بعينه ولفظ ﴿ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ في الآية يدل دلالة قوية على العموم والشمول .

(٨) البرهان في علوم القرآن ١/٣٩٧ .

(٩) الكشاف ٢/٤٤٠ .

وقد ورد هذا اللفظ في الآية مرتين في صدر الآية وفي عجزها هكذا :

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ ـ ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ .

إذا تقــرر هذا فإن في الآية الكريمة كناية عن جهل الإنســان بعواقب الأمور وسرعة تلهفه وإلحاحه على حصول المنافع دون تريث أو تروٍ .

فهو شــديد العجلــة بالدعاء غير مــدرك إن كان مــا يدعو به لنفسه نافعاً له أو ضارًا به .

من أجل ذلك حذفت الواو من الفعل ﴿وَيَدْعُ﴾ الذي أسندها النظم القرآني المعجز للإنســان للدلالة على طيش هذا الإنسان فيكون دعاؤه بالخير لنفســه في الظاهر دعاء عليها بالشر وهو لا يدري ؛ لأنه عجول جهول .

وجــاءت فاصلــة الآية مؤكــدة لهذا المعنــى الذي أومــأ إليه صدرها .

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾

وقــد تحقق في هــذه الآية لطيفتان مــن اللطائف الثلاث التي نص عليها الإمام الزركشي فيما تقدم وهما :

سرعة الدعاء بالخير في الظاهر .

يسر الدعاء وسهولته لشدة الرغبة في حصول المدعو به .

وحذف الواو في الفعل ﴿يَــدْعُ﴾ كان رمزًا لهذه الدلالة .

وكذلك الشأن في الفعلين المناظرين لهذا الفعل أعني الفعل:

﴿يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ في سورة القمر والفعل ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ في سورة العلق.

فالأمر النكر الذي يدعو إليه الداع في قوله تعالى:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾

في آية القمر هو البعث والنشور أي قيام الساعة وهذه الدعوة ستكون مذهلة في سرعتها وفيها يقول رب العزة في السورة نفسها

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾

(القمر: ٥٠)

ويقول عنها في سورة النحل:

﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(النحل: ٧٧)

فحذف الواو من هذا الفعل كان رمزًا للدلالة على لطيفتين كذلك من اللطائف الثلاث التي ذكرها الإمام الزركشي وهما:

سرعة وقوع الفعل من الفاعل.

سرعة وشدة انفعال الطرف الأدنى وهم الموتى وخروجهم من القبور لإجابتهم دعوة الداع إلى ذلك الشيء النكر.

وهذا ما يؤكده قوله تعالى في سورة المعارج:

﴿ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴾

(المعارج :٤٣)

وفي هذه الآية لطيفة أخرى مرموز إليها بعلامة الوقف (مـ) فوق حرف الميم من (عنهم) وهي علامة الوقف اللازم الذي تقدم الحديث عنه.

وهي تقتضي الوقوف على ﴿عَنۡهُمۡ﴾ لحظة من الزمن حتى لا يتعلق تولي الرسول عنهم بيوم القيامة لأن التولي عنهم يكون في الدنيا، وإذا وصل القارئ صدر الآية بعجزها لأدى وصله إلى إيهام خاطف بأن القول يكون يوم القيامة، وهذا غير وارد ويؤدي إلى خلل في أصل المعنى.

أما الوقف على ﴿عَنۡهُمۡ﴾ فيزيل هذا الإيهام العارض ويفصل فصلاً تامًا بين حدث يقع في الدنيا وأحداث تقع في الآخرة.

وللقارئ أن يقوم بهذه التجربة بنفسه فيقرأ الآية مرة بالوقف على ﴿عَنۡهُمۡ﴾ ومرة بوصلها بما بعدها فإنه سوف يتبين له الفرق الواضح في المعنى: بين الوقف والوصل وهذا من دقائق ما تفيده علامات الوقف من معان آسرة في آيات الذكر الحكيم.

أما آية العلق: ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾

فهي مثل نظائرها تدل على سرعة حدوث الفعل وهذه السرعة هي البلاغة بعينها في المقام الذي وردت فيه هذه الآية وهذا يتجلى لنا إذا ربطنا هذه الآية بالآيات التي كانت هي واسطة عقدها وهي:

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ
بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا
بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾
كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾

(العلق: ٩-١٩)

هــذه الآيات تحكي مواقف عناد عنيفة تعترض طريق الدعوة وتقف حجر عثرة أمام من يعبد الله -عز وجل- وتبلغ الخصومة مداهــا ويغتر خصوم الدعوة بما لهم من قوة وســلطان مادي في الأرض فــكان من المناســب أن يكــون الوعيد شــديدًا والبطش بهؤلاء الطغاة قريبًا(١٠).

ومن أجل هذا هددهم الله تعالى بســرعة انتقامه منهم وبطشه بهم.

وجاء حذف الواو من الفعل ﴿سَنَدْعُ﴾ رمزًا على ســرعة قدرة الله فــي الانتقــام منهــم والانتصار للحق الذي أرســل به رســوله الكريم.

هذه هي لطائف وأسرار حذف الواو في الفعل «يدع - سندع»
إنها حذوفات قائمة مقــام الكلمات في الدلالة على المعانى المرادة منها وأظهرها سرعة وقوع الفعل في الوجود.

ومما يعضد هذا:

أن المقــام إذا خــلا من إرادة الســرعة المشــار إليهــا فإن هذا

---

(١٠) انظر القصة بتمامها في كتب التفسير (تفسير سورة العلق).

الفعل يأتي كامل الأصول لا يحذف منه شيء قط إلا إذا اقتضى حذف الواو فيه عامل من عوامل الإعراب كأن يكون فعل أمر مثل قوله تعالى:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾

(النحل: ١٢٥)

أو فعلًا منهيًا عنه كقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾

(يونس: ١٠٦)

فإذا لم يقتض حذفه عامل إعرابي رسم في المصحف الشريف على الأصل كقوله تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾.

(يونس: ٢٥)

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾

(فاطر: ٦)

جاء الفعل «يدعو» في الموضعين على الأصل مثبت الواو لخلو الكلام من عامل إعرابي يقتضي حذفه ولعدم إرادة معنى السرعة.

أما الموضع الرابع وهو ﴿ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ ﴾

وهو ما ورد في آية الشورى (٢٤) فإن الواو حذفت من الفعل

﴿وَيَمۡحُ﴾ ورمز بهذا الحذف إلى معنى يسر الفعل على الله – عز وجل– يعني أن محو الباطل أمر هين عند الله وقدرته عليه أسرع ما تكون السرعة فهو جار مجرى حذف الواو في ﴿يَدۡعُ﴾ و﴿سَنَدۡعُ﴾ .

ويضاف إلى هذه اللطيفة لطيفة أخرى هي سرعة وشدة قبول الباطل لمحو الله إياه فلا يستعصي عليه .

هذا هو دلالة حذف الواو في هذه الأفعال الأربعة .

بيد أن هذا الموضع تبدو فيه شبهة عطفه على الفعل المجزوم قبله ، الواقع جوابًا للشرط في قوله تعالى :

﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾

فقد يتبادر إلى الذهن أن الفعل « يمح » معطوف على ﴿يَخۡتِمۡ﴾ الذي هو جواب شرط ﴿فَإِن يَشَإِ﴾ وهذا مدفوع والمفسرون مطبقون على أنه غير معطوف[11]

بدليل أن هذا الفعل « يمح » عطف عليه فعل مرفوع جاء بعده وهو ﴿وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾

هذا وجه ، ووجه ثان يؤكد عدم عطف الفعل « يمح » على الفعل ﴿يَخۡتِمۡ﴾ هو أن الفعل « يختم » هو وحده مقيد بمشيئة الله ، أما الفعلان « يمح » و« يحق » فهما غير مقيدين بالمشيئة لأن الله تعالى دائمًا خاذل للباطل ، ناصر للحق وبهذا يسلم لنا

---

(١١) انظر الكشاف للإمام الزمخشري ٤٦٨/٣، وتفسير الإمام أبي السعود ٣١/٨.

القول بأن حذف الواو في الفعل «يمح» ليس له سبب إلا الدلالة على اللطيفتين اللتين أشرنا إليهما من قبل وهما: قدرة الله الفائقة في الإسراع لمحو الباطل وتأثر الباطل نفسه في أسرع ما يكون وسرعة محوه بقدرة الله -عز وجل- [(١٢)] ويدل على هذا بكل وضوح:

مجيء هذا الفعل غير محذوف منه الواو في قوله -عز وجل:
﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾

(الرعد: ٣٩)

لم يحذف الواو من الفعل ﴿يَمۡحُواْ﴾ هنا لأن المقام خلا من إرادة السرعة فجاء الفعل مرسومًا بأصوله الثلاثة: الميم – الحاء – الواو.

وبهذا يتبين أن ما في رسم المصحف من خصوصيات إنما هي سمات رمزية في قوة الكلمات في الدلالة على المعاني المرادة منها وأنها ليست طرائق مختلفة لكتبة المصحف في صدر الإسلام وأن هذه الرموز مع معانيها التي تدل عليها وجوه للإعجاز القرآني لم تأخذ حقها من الدراسة والذيوع وأن القرآن ينبغي أن يظل على ما توارثناه جيلًا بعد جيل من عصر الرسالة حتى تقوم الساعة.

(١٢) من المراد من معنى الفعل «يختم»؟ راجع كلًا من: تفسير النسفي (١٠٧/٤)، تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٢١٦/١٤)، تفسير القرطبي (٣١/١٦).

٢- زيادة الواو:

باستقراء آيات القرآن الكريم نجد زيادة حرف الواو أكثر من حذفه من بنية الكلمة، كما نجد هذه الزيادة تتوارد على الأسماء والأفعال وهي في الأسماء أكثر منها في الأفعال.

ونجد زيادة الواو في الرسم الشريف أتت على صورتين:

إحداهما: الزيادة في وسط الكلمة سواء كانت الكلمة اسمًا أو فعلًا.

والأخرى: زيادة الواو في طرف الكلمة اسمًا كانت أو فعلًا كذلك.

ولم يخل موضع من جميع مواضع زيادتها من معنى لطيف أو سر رقيق تراه يتلألأ كضوء الفجر في الأفق الرحيب.

وهذا ما سنراه من خلال الأمثلة الآتية بادئين بأمثلة زيادة الواو في الأفعال مع ملاحظة أن هذه الزيادات تلحظ بالبصر ولا تنطق باللسان وأنها زيادة باعتبار الخط أو الكتابة لا من حيث المعنى.

١- زيادة الواو في وسط الفعل:

زيادة الواو في وسط الفعل، وردت في الكتاب العزيز في موضعين في فعل واحد تكرر فيهما.

الموضع الأول: هو قوله تعالى:

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

(الأعراف: ١٤٥)

والموضع الثاني: قوله تعالى:

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾

(الأنبياء: ٣٧)

الفعل المزيدة فيه الواو - كما ترى - فعل مضارع من مادة واحدة هي: الراء والهمزة، والألف المقصورة «رأى» وقد ورد في صيغة خطاب الجمع المذكر.

وقد زيدت فيه الواو في وسطه، فاصلة بين أول الفعل وهو الهمزة من «أرى» لأنه فعل متعد، وبين «الراء» التي وقعت ثانية باعتبار همزة التعدية، وكان القياس أن يكتب هذا الفعل هكذا: (سأُريكم) بضمة فوق الهمزة فعُدل عنها أي عن الضمة، إلى الواو فصار الرسم هكذا: ﴿سَأُو۟رِيكُمْ﴾ في الموضعين فما هو سر هذه الزيادة يا ترى؟[١٣]

إن سرها هو الرمز إلى وضوح الرؤية وقوتها، والمقام في الموضعين يقتضي:

---

(١٣) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ١/٣٨٦ .

أن تكون الرؤية واضحة وقوية، وبيان ذلك:

فـي الموضع الأول يحث الله قوم موسـى أن يعملوا بما أنزله الله عليـه، ورغبهم فيه ثم لوح لهم بأنه سـيريهم دار الفاسـقين ليكـون هـذا دافعًا لهم على التمسـك بما جاءهم به رسـول الله موسى عليه السلام.

وهذا يتضمن تخويفا وتهديدا لبني إسـرائيل إذا هم أعرضوا عن أوامر الله ونواهيه.

وفـي الموضـع الثاني، ورد هـذا الفعل في معـرض الحديث عن الذين كفروا، وهم يسـتهزئون برسـول الله ﷺ، وينصرون آلهتهم عليه فاقتضى المقام أن تعلو نبرة التهديد والوعيد، وأن الانتقام منهم آت لا محالة.

من أجـل هذين الغرضين؛ زيدت الواو في الفعل في الآيتين، وقامت هذه الزيادة مقام كلمة منطوقة تؤدي هذا المعنى.

وبذلك اجتمع في الفعل سـمتا إطناب وإيجاز لا عهد لكلام البشر بهما[١٤].

الإِطناب حاصل بزيادة الـواو، والإِيجاز حاصل بدلالة حرف واحد على معنى عظيم.

---

(١٤) الإطناب: أن تكون الألفاظ أكثر من المعنى المراد وهو: الإطالة في الكلام.
والإيجاز: أن تكون المعاني أكثر من الألفاظ أو هو تقصير الكلام مع وفرة المعاني.

وهذا ملمح جديد للإعجاز القرآني من الملامح العديدة التي تستشف من خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف.

٢- زيادة الواو في أطراف الأفعال:

هذه هي الصورة الثانية لزيادة الواو في الأفعال، وورودها في القرآن الكريم أكثر من ورود الصورة الأولى.

ومن شواهدها فيه الأمثلة الآتية:

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾

(يونس: ٣٤)

في هذه الآية أمر الله رسوله أن يوجه إلى المشركين هذا السؤال في صورة استفهام إنكاري توبيخي: هل يوجد من بين أصنامهم وآلهتهم من يستطيع أن يبدأ الخلق من العدم؟ ثم يعدمه بعد إيجاده؟ ثم يعيده موجودًا بعد إعدامه؟

ثم أن يثبت لهم سواء أجابوا أم لم يجيبوا، أن الله وحده – لا غيره ولا بمعونة غيره – هو القادر على بدء الخلق وإعادته.

أعد النظر في الآية الكريمة، تجد الفعل المضارع ﴿يَبْدَؤُاْ﴾ ورد في الآية مرتين، وتجد أن هذا الفعل زيدت فيه الواو في طرفه هكذا:

﴿يَبْدَؤُاْ – يَبْدَؤُاْ﴾ مخالفًا الخط العام، أو الخط الإملائي الحديث حيث يرسم فيه هذا الفعل هكذا: «يبدأُ» بهمزة فوق الألف، وفوق الهمزة ضمة، سواء رُسمت هذه الهمزة في الخط،

أم لم تُرسم وهي في كلتا الحالتين لها أثر في النطق إذ لم ينصب الفعل ناصب أو يجزمه جازم.

وزيادة الواو ترمز إلى معنى كبير، هذا المعنى هو الإِيماء إلى عظم الخلق وفخامته وضخامته، فهو ليس بدءا يمكن لغير الله أن يمارسه أو يمارس أدنى شيء منه وهذا بإِقرار جميع العقلاء حتى المشركين أنفسهم.

إذن، لم تجئ هذه الزيادة عبثا، وليست هي رؤية أو منهجًا خاصًا ببعض كتبة الوحي كما يحلو لبعض الناس أن يقول.

فحاشا لله، وألف حاشا أن يكون في كتابه العزيز حشو لا دلالة له على معنى فنحن البشر نتحاشى في ما نكتب أو نقول أن يكون في ما نكتبه أو نقوله فضول يخلو من الدلالة، فكيف يرد في خواطر بعضنا أن يكون في هذا الكتاب المعجز ما ننزه نحن كلامنا منه؟!

٢- ﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾

(النور: ٨)

وردت هذه الآية في بيان الحكم الشرعي في اتهام الزوج زوجته بالزنا، ولم يكن معه شهود غير نفسه، فإِن عليه أن يقسم أربع مرات بالله أنه صادق، ويقسم مرة خامسة يستوجب فيها لعنة الله على نفسه إن كان كاذبا فيما قال.

أما الزوجة فلها أن ترد عليه أيمانه بخمسة أقسام، الأربعة

الأولى منها تقسم فيها على أنه كاذب فيما رماها به من جريمة الزنا.

أما المرة الخامسة فتقسم فيها مستوجبة غضب الله عليها إن كان صادقًا.

ثم يفرق بينهما على الفور، ولا يتوارثان، ولا يجوز لهما أن يتزوجا من بعضهما مرة أخرى مدى الحياة، هذه الواقعة تسمى في الفقه بـ« اللعان » أو الملاعنة (١٥) فإذا لم ترد عليه أيمانه؛ وجب إقامة حد الزنا المحصن عليها، وهي الرجم المتتابع بالحجارة حتى الموت، فهي عقوبة شديدة الإيلام؛ لأنها تحدث في أثنائها موتا بطيئا شنيعا.

أما إذا ردت عليه أيمانه فقد نجاها هذا الرد من تلك العقوبة العاجلة الشديدة الإيلام.

ومن أجل هذا زيدت الواو في الفعل ﴿ وَيَدْرَؤُاْ ﴾ وجاءت هذه الزيادة رمزا إلى تفظيع العقوبة التي توقع عليها والأثر العظيم الذي يعود عليها من الأيمان الخمسة التي تصون دمها من الإهدار، وتحفظ حياتها من الإماتة.

ومرة أخرى نقول: إن زياد الواو - هنا - قامت مقام كلمة أو جملة دلت على تفخيم الأثر المرتب على إقسامها خمس مرات تدفع بها اتهام زوجها إياها بالزنا ولم - ولن - تأتي زيادة الواو

---

(١٥) انظر: أسهل المدارك - شرح إرشاد السالك في فقه الإمام مالك (جـ ٢ ص١٧٣).

هنـا ولا غير هنـا ، عبثا لا معنى لها ، وهي مثـل ما تقدم جمعت بين سمتي الإِطناب والإِيجاز.

ولـم يتوقف الأثـر العظيم لرد المرأة أيمـان زوجها الملاعن بهـا على دفع العذاب المـادي عنها ، بل يتعـداه إلى دفع ما هو أشـد منه نقيصـة تصيبها وتصيب عشـيرتها مـن بعدها ، وهو سـوء سـمعتها ، وإطلاق الألسنة الناهشة في سـيرتها ، الطاعنة في عفتها وشرفها.

فزيدت الواو في الفعل ﴿ وَيَدْرَؤُاْ ﴾ للإيحاء بكل هذه المعاني المكثفة ، المدلول عليها بحرف واحد هو الواو.

٣- ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾

(هود: ٨٧)

في هذه الآية يجادل قوم شـعيب شعيبا ، لما نهاهم عن آفتين انتشرتا في معاملاتهم المالية ، وهما التلاعب في مقادير الكيل والوزن ، حيث كانوا يبخسـون الناس أشياءهم ، والظاهر أن هذه المظالـم كان يقوم بهـا الأغنياء ضد الفقراء ، أو السـادة الذين يطلق عليهم القرآن وصف: «الملأ».

وقد اعتبر الملأ من قوم شـعيب نهيه هذا تدخلًا في شئونهم الشخصية ومصادرة لحرياتهم ، وسلبا لها منهم: سلبا لحرياتهم الدينية المتمثلة في عبادتهم ما كان يعبد آباؤهم ، وفي تصرفهم فـي أموالهم على الوجه الذي يريـدون ؛ لذلك جاءت صرختهم

مدوية في وجه شعيب بدءوها بهذا الاستفهام الإنكاري الاستهزائي:

﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ﴾ ؟

﴿أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ ؟

﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ ؟

إن لهجة الاحتجاج في كلامهم هذا تبلغ عنان السماء صخبا، وتملأ ربوع الآفاق دويا، وكأن شعيبا جاءهم بمنكر من القول وزورا.

فهم كانوا يعتقدون أنهم يملكون حريات واسعة المدى في مجال الاعتقاد والعبادة والتصرفات المالية.

هذا التصور لدى قوم شعيب دل عليه البيان القرآني المعجز بأمرين:

حكاية عبادتهم نفسها.

زيادة الواو في الفعل ﴿نَشَٰٓؤُاْ﴾ بل نكاد نجزم أن زيادة الواو – هنا – دلت على ادعائهم أنهم يملكون حريات واسعة في التصرف المالي دلالة مكثفة بوجه خاص، حتى لكأنها مقصورة على هذه الدلالة.

ومحال أن تكون هذه الدلالة غير مقصودة من زيادة الواو؛ لأننا نرى هذا الفعل «شاء» ورد في الذكر الحكيم خاليا من هذه الدلالة في مواضع أخرى، مثل قوله تعالى في سورة آل عمران:

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(آل عمران : ٢٦)

وخلو الفعل في الآية في مرّاته الأربع من الواو ؛ لأن المقام يخلو من إرادة التهويل الذي أراده قوم شعيب في جدالهم شعيبا .

وفي هذا إجابة حاسمة على سؤال مؤداه :

لماذا خلت آية (آل عمران) من زيادة الواو في الفعل ﴿تَشَآءُ﴾ في مراته الأربع ، وزيدت تلك الواو في آية هود عليه السلام ؟

أجل : زيدت الواو في آية هود لتصور إلى أي مدى غالى قوم شعيب في إثبات حريات واسعة لأنفسهم ، محال أن تحد منها أو تسلبها صلوات شعيب فلا دخل للصلوات بالتعاملات المادية فهذه نقرة وتلك نقرة – كما يقال – فقد عبر البيان القرآني عن دقائق ما كان يتصوره قوم شعيب وهم يجادلونه في كبرياء وصلف ويظهرون استهزاءهم به وبما يدعو إليه .

فهذه الواو الزائدة خطًا في قولهم ﴿مَا نَشَـٰٓؤُاْ﴾ ضوء باهر كشف عن دخائل قوم شعيب ، وما كانت تشي به نبرات أصواتهم ، وملامح وجوههم .

٤ – ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾

(الزخرف : ١٨)

هذه الآية جاءت في إطار الرد علي المشركين ، حين قاسموا الله في خلقه فجعلوا لأنفسهم البنين ، ولله– عز وجل –البنات ،

وحكــى عنهم القــرآن هذا في مواضع منها ســورة الزخرف التي قال الله تعالى فيها :

﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ﴾

(الزخرف : ١٥-١٨)

يشــنع القــرآن عليهــم أنهم جعلــوا لله النوع الأدنــى عندهم «البنات» وجعلوا لأنفسهم النوع الأعلى «البنون» في اعتقادهم.

أو جعلــوا لله الصنف الأضعف، ولأنفســهم الصنف الأقوى، فرضوا لله ما لا يرضونه لأنفسهم، وهم وما ملكت أيديهم ملك لله- عز وجل-.

وجــاءت الــواو زائدة فــي الفعــل ﴿ يُنَشَّؤُاْ ﴾ لافتــة الأذهان والأنظــار إلــى نــوع التربية والتنشــئة التــي تغدو وتــروح فيها «الأنثــى» في مهدها الأول، وما يعقبه مــن مراحل التربية، وكم تحمل هذه العبــارة القرآنية ﴿ يُنَشَّؤُاْ - فِي ٱلۡحِلۡيَةِ ﴾ من معان لا حد لها، من حياطة الأم والأب لها.

والحلية : الزينة والنعمة (١٦)

وقد جعل الله ﴿ ٱلۡحِلۡيَةِ ﴾ ظرفا محيطا بها، مبالغة في تصوير المعنى المراد.

---

(١٦) انظر: تفسير الزمخشري المعروف بـ «الكشاف» (جـ ٣ ص٤٨٢).

ثم جيء بالفعل مضعفا ﴿ يُنَشَّؤُاْ ﴾ مسندا إلى غير المفعول به، الذي هو «الأنثى» المكنى عنه بـ«من» الذي جعل ضميره المستتر فيه «هو» نائب فاعل، ولم يقل «ينشأ» فيكون هو فاعل الفعل، لأن التنشئة ليست فعلها، بل هي فعل «الأسرة» وتضعيف الفعل للدلالة على تكثيف التربية في الزينة والنعمة والنعومة، وهكذا توفرت لهذه «التربية» المخصوصة عوامل الرعاية وشدة العناية من ثلاثة أوجه:

الأول :إسنادها إلى غير «الأنثى».

الثاني: تضعيف الفعل للدلالة على تكثيف الرعاية.

الثالث: زيادة الواو، القائمة مقام كلمة أو جملة دالة على هذه المعاني ويصاحب هذه الدلالة سمتا الإطناب والإيجاز في أداة تعبيرية واحدة، تراها إطنابا باعتبار، وإيجازا باعتبار آخر.

٥- ﴿ يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾

(القيامة:١٣)

هذه الآية تحكي بعض ما سيكون يوم القيامة وهو إطلاع الله كل إنسان على ما عمله في الحياة الدنيا، والنبأ هو الخبر العظيم (١٧) ولذلك لم يرد في القرآن في الحديث عن الغيبيات، وعن فضل الله في اختلافات الطوائف إلا ما اشتق من هذه المادة (ن – ب – أ) ومنه ما ورد في هذه السورة:

---

(١٧) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن المعروف بـ «المفردات» للراغب الأصفهاني (ص٢٥٣٥).

﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾

وجاء هذا الفعل «ينبؤا» مزيدا بالواو، معدولا به عن «ينبأ» كما هو الشأن في الخط الإملائي العام، والحديث إشارة إلى تفخيم المعنى المراد وتعظيمه.

ولولا إرادة هذا المعنى ما زيدت هذه الواو، فهي كمثيلاتها قائمة مقام كلمة أو جملة برأسها، تدل على هذا المعنى، الذي هو التعظيم والتفخيم، والمقام هنا يقتضي هذا، لأن من أعظم الوقائع يوم القيامة إعلام الله العباد بما كانوا يعملون في الحياة الدنيا بعد أن نسوا ما صنعوه فيها.

لذلك نرى النظم القرآني يحشد عددا من القيم التعبيرية للدلالة على عظمة هذا الحدث وفخامته وتلك القيم التعبيرية هي:

أ- إيثار التعبير بمشتق «ينبؤا» من مادة «ن - ب - أ» دون مادة «خ- ب - ر» لاختصاص الأولى بالخبر العظيم الصادق، دون الثانية.

ب -صياغة الفعل ﴿يُنَبَّؤُا۟﴾ من (نبأ) المضعف دون (أنبأ) المخفف لأبلغية الأول على الثاني لدلالته - أي الأول - على الكثرة دون الثاني.

ج -زيادة الواو، لما تقدم مرات من أنها رمز للتعظيم، ولم تأت في أي موضع من مواضع زيادتها خالية من هذه الدلالة.

ومما يدل على عظمة هذا الحدث، وتعجب الناس منه يوم القيامة قوله تعالى:

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

(الكهف: ٤٩)

وهكذا تبين لنا أن الرسم العثماني للمصحف الشريف فيه تلك الخصوصيات التي نتتبع نماذج منها، لم يرد فيه شيء منها عاريا من اللطائف المذهلة، والأسرار المدهشة مما يصح أن نطلق عليه - غير مغالين - مصطلح: الإعجاز الخطي للقرآن العظيم.

زيادة الواو في وسط الأسماء

-﴿أُوْلُواْ﴾ و﴿أُوْلِي﴾ و﴿أُوْلَاتِ﴾

ونبدأ بثلاث كلمات زيدت في وسطها الواو في جميع مواضع ورودها في الكتاب العزيز وهي ﴿أُوْلُواْ﴾ و﴿أُوْلِي﴾ و﴿أُوْلَاتِ﴾.

والكلمتان الأولى والثانية وردتا في القرآن في مواضع كثيرة.

أما الثالثة ﴿أُوْلَاتِ﴾ فوردت مرتين.

وزيادة الواو جاءت في وسط الكلمة كما ترى، وهي في الكلمات الثلاث تدل على معنى واحد عبر عنه علماؤنا الأقدمون ﷺ بجملة موجزة فقالوا:

«إنها تدل على شدة الصحبة»(١٨)

واكتفوا بهذه اللمحة، دون أن يتبعوها بشرح أو تفصيل.

- وها نحن أولاء نبدأ من حيث توقفوا، فنقول ومن الله التوفيق:

أرادوا بقولهم إنها تدل على «شدة الصحبة»، قوة الصلة بين المضاف ﴿أُوْلِي - أُوْلُواْ- أُوْلَاتِ﴾ وبين المضاف إليه، والمضاف إليه مختلف من موضع إلى موضع لأن هذه الكلمات الثلاث لا تستعمل إلا مضافة، فهي كلمات ملازمة للإضافة مثل: عندي، ولديّ.

وقبل أن نسوق الأمثلة، ونطبق عليها معنى قوة أو شدة

---

(١٨) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ١/ ٣٨٦.

الصحبة، نشـير في العبارات الآتية إلى ضابط بلاغي ينتظم كل مضـاف ومضاف إليه في جميع اسـتعمالات لغة القرآن الكريم المعجزة لهذه الكلمات الثلاث، ليكون التطبيق شاملا للأمرين معا، أعني:

قوة الصحبة بين المضاف والمضاف إليه في الكلمات الثلاث.

وهذا الضابط الذي اكتشفناه:

ذلك أننا تتبعنا كل ما ورد في القرآن من اسـتعمال الكلمات الثلاث مضافة وخرجنا من هذا الاستقراء التام بالحقيقة الآتية، التي نصوغها في صورة (قانون) لغوي بلاغي هو الآتي:

«إن لغـة القـرآن المعجزة لم تضـف هذه الكلمـات الثلاث ﴿أُوْلُواْ﴾ و﴿أُوْلِي﴾ و﴿أُوْلَٰتِ﴾ إلا إلـى مـا هـو عنصـر متأصـل فـي (ماهية) المضاف، وبه يكون تمـام الخلق والتكوين، وأن المضـاف إليـه كيفية نفسـية لا يمكـن في الواقـع الفصل بين المضاف والمضاف إليه.

أمـا كلمة ﴿أُوْلِي﴾ فلم تضفها لغة القـرآن الحكيم إلا إلى ما هو جزء مادي أو كالجزء المتأصل في ذات المضاف».

وتفصيل كل ذلك يأتي في سوق الأمثلة وتحليلها.

الأمثلة:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾

(آل عمران: ١٣)

أضيفت كلمة ﴿أُوْلِي﴾ في هذه الآية الحكيمة إلى كلمة ﴿ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

والأبصار هنا تحتمل عند المفسرين معنيين:

أن تكون بمعنى (العقول).

أن تكون بمعنى العيون الباصرة(١٩).

والأول هو الأصوب، أو هو الصواب؛ لأن المقام لا يشمل كل من له عين باصرة بل المراد أصحاب الفهم الذكي، والتفكير السديد.

وسواء كان المراد المعنى الأول (العقول) أو المعنى الثاني (العيون الباصرة) فإن زيادة الواو في ﴿أُوْلِي﴾ وهي في الأصل (أُلي) بهمزة مضمومة، هذه الزيادة رمز بها إلى قوة الصحبة بين المضاف ﴿أُوْلِي﴾ وبين المضاف إليه ﴿ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

وقوة الصحبة هنا تظهر من عدم انفصال المضاف إليه ﴿ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ عن المضاف ﴿أُوْلِي﴾ مع بقاء تمام الخلق، وهذا الانفصال محال في الواقع إذا كان المراد من ﴿ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ العقول.

أما إذا كان المراد (العيون الباصرة) فهي وإن أمكن فصلها فإن تمام الخلق يزول مع هذا الفصل، كما تقدم في القاعدة المستنبطة من الاستقراء المشار إليه فيما تقدم.

---

(١٩) تفسير أبي السعود ٢/ ١١٤، والبحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٣٩٦.

وقد أضيفت هذه الكلمة في حالتي الرفع والجر إلى ﴿ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ في ثلاثة مواضع أخرى هي:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾

(النور: ٤٤)

﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾

(ص: ٤٥)

﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾

(الحشر: ٢)

وبالتأمل في المضاف والمضاف إليه في هذه الآيات جميعا تظهر قوة الصحبة بينهما، والتي جاءت الواو المزيدة رمزا للدلالة عليها.

ويظهر أن هذه الواو المزيدة قد سدت مسد جملة كان ينبغي أن تذكر للدلالة على هذا المعنى.

كما يظهر اقتران الفن البلاغي (الجديد) المكون من توارد الإيجاز والإطناب في محل واحد، وهو فن عزيز المنال في غير القرآن الكريم.

وأضيفت كلمتا ﴿أُوْلِي – وَأُوْلُواْ﴾ إلى كلمة (ٱلۡعِلۡمِ) مرات، من ذلك قوله تعالى:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾

(آل عمران: ١٨)

العلــم الذي أضيفت إليه ﴿وَأُوْلُوا۟﴾ كيفية نفســية وهو ملكة ذهنيــة، لا يمكــن فصلهــا عــن المضــاف، وهــو ﴿وَأُوْلُوا۟﴾ ولا يمكن إدراكه منفصلا عن الشــخص (العالم) لأن العلم ممتزج بالعالم امتزاجا عضويا ساريا في كيانه سريان النضارة في العود الأخضــر، هذا هو (قوة الصحبة) بين المضاف ﴿وَأُوْلُوا۟﴾ وبين المضاف إليه ﴿ٱلْعِلْمِ﴾.

فأولوا بمعنى (أصحاب) ولم تســتعمل لغة القرآن المعجزة كلمــة (أصحاب) هنا، بل آثرت عليها كلمة ﴿وَأُوْلُوا۟﴾ لما بين (أصحاب) و﴿وَأُوْلُوا۟﴾ من فرق دقيق عميق سنبينه بإذن الله في آخر هذا المبحث.

ومــن أجــل الدلالة علــى (قوة الصحبــة) بيــن العلم وما أضيف له زيدت الواو بعد الهمزة، وقبل اللام فســدّت مسد الجملــة، التي كان ينبغي أن تذكــر للدلالة على هذا المعنى اللطيــف، ولــم تضف إلى العلــم مرة أخرى فهــي فريدة في الذكر الحكيم.

وأضيفــت ﴿أُوْلِى﴾ إلــى ﴿ٱلنَّعْمَةِ﴾ بفتــح النون المشــدة في موضع واحد هو:

﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾

(المزمل: ١١)

والنعمة بفتح (النون المشـدة) غير النعمة بكسر (النون) فهي بالفتح بمعنى (التنعم والترفه والمسرة)[٢٠].

أما (النعمة) بالفتح بدون التشديد فهي بمعنى ما يملك من زينـة الحياة الدنيا وهو ما يكون مفصولا عن مالكه، والأول هو المراد من الآية، وهي المتعة التي يستلذ بها صاحبها.

وهي بهذا المعنى كيفية نفسـية شـعورية، تسري في النفس ممتزجـة بها ولا يمكن فصلها عن الإنسـان حال وجودها فيه، فإذا زالت عنه لا يكون من ﴿أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾.

وهذا هو المراد من شـدة الصحبة بين المضاف إليه هنا وهو ﴿ٱلنَّعۡمَةِ﴾ والمضاف وهو ﴿أُوْلِي﴾.

ومن أجل هذه اللمحة اللطيفة، زيدت الواو بعد الهمزة وقبل اللام، وأوثرت ﴿أُوْلِي﴾ على (أصحاب).

وإذا قيـل في غيـر القرآن: أصحـاب النعمة بفتـح (النون) وتشـديدها لحدث خلل في المعنى المـراد، ولأوهم هذا القول جواز فصل المتعة والسـرور عن الشـاعر بهما حـال وجودهما فيه، وهذا محال.

أما إذا قيل: (أصحاب النعمة) بكسـر (النون) وتشـديدها فـإن المعنى يكون صحيحـا؛ لأن النعمة بمعنى المال المملوك لا يمتنع فصله وعزله عن مالكه، بل هو مفصول عنه في الواقع.

---

(٢٠) ترتيب القاموس مادة (نعم) ٤/ ٤٠٢ للأستاذ طاهر الزاوي.

وأضيفت كلمتـا ﴿أُوْلِي ، وَأُوْلُواْ ﴾ إلى كلمة ﴿ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾

(الأنفال: ٧٥)

أولـوا الأرحـام: ذوو القرابات مـن جهة النسـب[٢١]، وهي كناية لطيفة عن صلات النسـب الناجمة عـن الآباء والأمهات، وما تفرع عنهما.

والقرابـة اعتبـار ذهني معنـوي، وكل اثنيـن أو أكثر بينهما قرابة نسـبية فهي معنى لازم بينهمـا، أو بينهم، لا يمكن بحال إزالة ذلك المعني بأي وسيلة وهذا هو معنى (قوة الصحبة) بين المضاف هنا وهو ﴿أُوْلُواْ﴾ والمضاف إليه، وهو ﴿ٱلۡأَرۡحَامِ﴾.

وبسـبب الإلماح إلى هذا المعنى (قوة الصحبة) زيدت الواو بيـن الهمـزة والـلام فـي ﴿أُوْلُواْ﴾ ولا يقال في فصيـح الكلام: أصحـاب الأرحام، لخلو كلمة (أصحاب) مـن الدلالة على هذا التـلازم المعبر عنـه بـ(قوة الصحبة) وسـياتي بيـان ذلك عند المقارنـة بين ما تضاف إليه (أُوْلُواْ –وأُوْلِي) وما تضاف إليه كلمة (أصحاب) في لغة القرآن العظيم.

وقـد وردت هـذه الإضافة مـرة أخرى في لغة القـرآن في غير سورة الأنفال:

---

(٢١) تفسير الزمخشري ٢/ ١٧٠.

حيث أضيفت كلمتا (أُوْلُواْ ، وأُوْلِي) إلى كلمة ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ في حالتي الرفع والنصب ، والتعريف والتنكير (ٱلْقُرْبَىٰ - قُرْبَىٰ) في حالة الرفع والتعريف جاء قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾

(النساء : ٨)

وفي حالة النصب والتنكير جاء قوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾

(التوبة : ١١٣)

والدلالة على (قوة الصحبة) بين المضاف والمضاف إليه في الآيتين لا تحتاج إلى بيان ؛ لأن القرابة من جهة النسب ملازمة لهما ، فالإخوة يظلون إخوة دائما وهكذا جميع القرابات النسبية حيث لا تزول هذه الصلة القوية ، لا في حال الحياة ولا في حال الممات ، فهم أقرباء أبدا .

والواو المزيدة بين الهمزة واللام هي الرمز الدقيق إلى هذه اللطائف والأسرار العجيبة في كتاب الله العزيز .

وكذلك : ﴿أُوْلِي﴾ مضافة إلى ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ في قوله تعالى :

﴿أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾

(النور: ٢٢)

وهذه المواضع كلها تنتظم تحت مبدأ (قوة الصحبة) الذي

من أجله كانت زيادة الواو بين الهمزة المضمومة واللام في كل من (أُوْلِي ، أُوْلُواْ)[22].

وأضيفت ﴿أُوْلُواْ﴾ إلى كلمة ﴿ٱلطَّوْلِ﴾ في قوله:

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾

(التوبة: ٨٦)

والطول، على ما يفهم من كلام المفسرين والمعاجم اللغوية هو (القدرة) أو (السعة)[23]، وهما اعتبار معنوي وكيفية نفسية وإن كانت أسبابها حسية مادية مثل صحة البدن من العلل والآفات المقعدة، ووفرة المال في اليد.

فالطول بهذا الاعتبار شديد اللصوق بالمضاف لا يقبل الانفصال عنه، وهو معنى (قوة الصحبة)، والتي من أجلها زيدت الواو في ﴿أُوْلُواْ﴾ بين الهمزة المضمومة واللام، وآثرت ﴿أُوْلُواْ﴾ على (أصحاب) لشدة دلالتها على المعنى المراد من كلمة (أصحاب) كما سيأتي عند المقارنة بين ما تضاف إليه كل منهما وسوف يتضح أن (أصحاب) لا تصلح للاستعمال في موضع ﴿أُوْلُواْ﴾ وأن ﴿أُوْلُواْ﴾ لا تصلح كذلك للاستعمال في

(٢٢) المصدر نفسه ١/ ١٢٨.

(٢٣) ترتيب القاموس ٣/ ٢١٨.

موضع (أصحاب) وإن فسرت كل منهما بمعنى الأخرى، فهما كالمترادفين، وليستا مترادفتين من كل الوجوه.

وأضيفت ﴿أُوْلُواْ﴾ إلى كلمة ﴿ٱلْفَضْلِ﴾ معطوفا عليها كلمة ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ في قوله -عز وجل-

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾

(النور: ٢٢)

وما قيل في ﴿ٱلطَّوْلِ﴾ يقال في ﴿ٱلْفَضْلِ﴾ فهما جميعا كيفيتان نفسيتان قائمتان بذات المضاف إليهما قياما عضويا، مثل قيام الروح الممتزجة بالجسم في حال الحياة، وذلك كله يحقق (قوة الصحبة) بين المضاف ﴿أُوْلُواْ﴾ والمضاف إليه ﴿ٱلْفَضْلِ﴾.

وكل من ﴿ٱلطَّوْلِ﴾ و﴿ٱلْفَضْلِ﴾، لم يرد في القرآن الحكيم إلا مرة واحدة مضافا إليه ﴿أُوْلُواْ﴾.

وأضيفت ﴿أُوْلُواْ﴾ إلى كلمة ﴿ٱلْعَزْمِ﴾ مرة واحدة في قوله تعالى:

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾

(الأحقاف: ٣٥)

والعزم: الهم القوي، والإقدام المبرم على فعل شيء، أو هو قوة الإرادة والتصميم.

فهو بهذا الاعتبار كيفية نفسية لا يمكن عزلها عن (العازم).

وهـذا هو (قوة الصحبة) بيـن المضاف ﴿أُوْلُواْ﴾ والمضاف إليه ﴿ٱلْعَزْمِ﴾.

وأضيفـت ﴿أُوْلِي﴾ إلى كلمة ﴿ٱلضَّرَرِ﴾ مـرة واحدة في قوله تعالى:

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾

(النساء: ٩٥)

الضـرر والضـر: هو مـا يصيب الإنسـان من صنـوف الأذى والشـر، والمراد من ﴿ٱلضَّرَرِ﴾ في الآية -كما يفهم من المقام، العجز المترتب على ما يصيب الجسم من آفات.

وهو بهذا الاعتبار عجز ملازم لصاحبه وقت حلول أسبابه به، كالمرض الشـديد والعرج والعمى، و(قـوة الصحبة) ملحوظة بين المضاف ﴿أُوْلِي﴾ والمضاف إليه ﴿ٱلضَّرَرِ﴾.

وأضيفـت ﴿أُوْلِي﴾ إلـى كلمـة الأمـر مرتين في لغـة القرآن إحداهما في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾

(النساء: ٥٩)

والثانية في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾

(النساء: ٨٣)

والمـراد مـن ﴿ٱلْأَمْرِ﴾ الحكـم والسـلطان، وهمـا أمـران

معنويان قائمان بالحاكم والسلطان المخول بإدارة شئون الأمة، و(قـوة الصحبة) بين المضـاف والمضاف إليه في هذا البيان لا تحتاج إلى دليل.

وأضيفـت ﴿أُوْلُواْ﴾ إلى كلمتـي ﴿قُوَّةٍ، وبَأْسٍ﴾ في آية واحدة وهي قوله تعالى حكاية عن قوم بلقيس ملكة سبأ:

﴿ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾

(النمل: ٣٣)

والقوة والبأس: الشدة والشجاعة والبطش(٢٤) في الحروب، وهي أوصاف ذاتية شديدة اللصوق بالموصوف.

لذلـك آثرت لغة القـرآن أن يكون المضاف هو ﴿أُوْلُواْ﴾ دون (أصحـاب) أو (ذوو) لمـا فـي ﴿أُوْلُواْ﴾ مـن خصوصيـة (قوة الصحبة) المرموز إليها بزيادة الواو بين الهمزة واللام.

هذا، وقد أضيفت ﴿أُوْلِي﴾ إلى ﴿بَأْسٍ﴾ في موضعين آخرين هما قوله تعالى:

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾

(الإسراء: ٥)

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾

(الفتح: ١٦)

---

(٢٤) المصدر نفسه ١/ ١٢٨.

أما ﴿ٱلۡقُوَّةِ﴾ فقد أضيفت إليها ﴿أُوْلِي﴾ في موضع آخر واحد، هو قوله تعالى:

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾

(القصص: ٧٦)

وسر هذه الإضافات كلها هو الدلالة على (قوة الصحبة) بين المضاف والمضاف إليه.

وأضيفت ﴿أُوْلِي﴾ إلى كلمة ﴿ٱلۡإِرۡبَةِ﴾ في قوله تعالى:

﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾

(النور: ٣١)

الإربة- عموما: الحاجة[٢٥]، والمراد منها في الآية الكريمة الإحساس الذكوري بالميل إلى الأنثى، وهذا الإحساس انفعال نفسي يشعر به الرجل السوي تام التكوين بكل وظائف الأعضاء، وهو بهذا الاعتبار أمر لاصق بالإنسان لا ينفصل عنه، وليس له تحقق في الوجود خارج الجسم الذي يحس به.

وهذا هو (قوة الصحبة) المستفادة من زيادة الواو في ﴿أُوْلِي﴾.

لا يقال: إن ﴿أُوْلِي﴾ حتى إذا رسمت على الأصل هكذا (أُلي) بدون زيادة (الواو) فإنها تدل على هذا المعنى: لأننا نقول:

(٢٥) تفسير أبي السعود ٦/ ١٧٠.

إن (أُلـي) بـدون زيادة (الواو) تدل علـى مجرد (الصحبة) مثل: صاحب ولا تدل على (قوة الصحبة) إلا بزيادة الواو هذه.

وإضافـة ﴿أُوْلِى﴾ إلى ﴿ٱلْإِرْبَةِ﴾ لم ترد فـي لغة القرآن إلا في آية (النور) فهي -إذن- من فرائد النظم القرآني الحكيم.

ويـرى بعـض العلمـاء أن ﴿غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ﴾ فـي الآيـة، هم العجزة مـن الرجال الذين يفقدون -أصالة- الإحسـاس بالميل إلى النساء ولا ريب أن هذا العجز ملازم لهم(٢٦).

وأضيفت ﴿أُوْلُواْ﴾ إلى كلمة ﴿بَقِيَّةٍ﴾ في قوله تعالى:

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾

(هود: ١١٦)

والبقيـة علـى مـا جاء فـي كتب التفسـير: الفضـل والخير والخشـية(٢٧)، وهي على هذا كيفيات نفسية قارة في ذوات من يتصفون بها.

والكيفيـات النفسـية لا وجود لهـا خارج محالهـا، وهكذا يستمر معنا مبدأ (قوة الصحبة) في الرسم العثماني للمصحف الشريف.

وإضافـة ﴿أُوْلُواْ﴾ إلـى ﴿بَقِيَّةٍ﴾ مـن فرائـد النظـم القرآني الحكيم حيث لم ترد فيه إلا مرة واحدة

---

(٢٦) المصدر نفسه ٤/ ٢٤٦.

(٢٧) ترتيب القاموس ٤/ ١٤.

وأضيفت ﴿أُوْلِي﴾ إلى كلمة ﴿ٱلنُّهَىٰ﴾ مرتين هما :

﴿ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾

(طه : ٥٤)

﴿يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾

(طه : ١٢٨)

النُّهى : هو العقل الذكي الحصيف ، وهو : ملكة لطيفة ، زود الله بها الإنسان قارة فيه ، يعرف بآثاره ولا تدرك حقيقته ، ولا ينفصل عن المتصف به .

وهو بهذا الاعتبار قوي الصحبة بالعقل ، لذلك كان المضاف إلى الفعل هو ﴿أُوْلِيٓ﴾ في الموضعين ، وكانت زيادة الواو رمزًا إلى هذا المعنى اللطيف .

وأضيفت ﴿أُوْلُواْ﴾ و﴿أُوْلِي﴾ إلى كلمة ﴿ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ست عشرة مرة ، أولها حسب الترتيب المصحفي قوله تعالى :

﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (البقرة : ٢٦٩)

واللب هو : العقل الخالص الذكي ، وهو ملازم لمن يتصف به قار فيه لا ينفصل عنه ، ولذلك أضيفت إليه كلمة ﴿أُوْلُواْ﴾ و﴿أُوْلِي﴾ في المرات الست عشرة[٢٨] ، الواردة في القرآن

---

(٢٨) المرات الست عشرة هي: آل عمران (٧، ١٩٠)، الرعد (١٩)، إبراهيم (٥٢)، ص (٢٩، ٤٣)، الزمر (٩، ١٨)، البقرة (١٧٩، ١٩٧، ٢٦٩)، المائدة (١٠٠)، يوسف (١١١)، الزمر (٢١)، غافر (٥٤)، الطلاق (١٠).

الحكيم، للدلالة على (قوة الصحبة) بين المضاف والمضاف إليه.

وأضيفت ﴿أُوْلِي﴾ إلى كلمة ﴿أَجْنِحَةٍ﴾ في قوله تعالى:

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ﴾

(فاطر: ١)

وهذه هي المرة الوحيدة التي أضيفت فيها ﴿أُوْلِي﴾ إلى كائن مادي مشخص، له وجود محسوس في الواقع ومع هذا فإن معنى (قوة الصحبة) ملحوظ فيه بكل وضوح لأن (الجناح) متصل بالجسم اتصالا عضويًا ملازمًا لمن ركب فيه.

بهذا تطرد دلالة زيادة الواو في كل من (أُوْلُواْ، أُوْلِيٓ) على (قوة الصحبة) في جميع المواضع التي وردت هاتان الكلمتان مضافتين فيها في لغة القرآن العظيم، وفي هذا توكيد بعد توكيد لخلو القرآن في رسم كلماته المخالف للرسم الإملائي الحديث من عدم الدلالة على معنى لطيف.

أما ﴿أُوْلَـٰتِ﴾ وهي خاصة بالجمع المؤنث كما كانت ﴿أُوْلُواْ﴾ و(أُوْلِي) دالة في الظاهر على الجمع المذكر، فإنها -أعني أولات- جاءت في لغة القرآن مضافة مرتين:

أولاهما قوله تعالى:

﴿وَأُوْلَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾

(الطلاق: ٤)

والثانية قوله –جل ذكره– :

﴿ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ ﴾

(الطلاق : ٦)

وقوة الصحبة بين الحامل والمحمول، أو المضاف والمضاف إليه في هاتين الآيتين لا تحتاج إلى دليل، ويكفي أن يُقال في توكيد (قوة الصحبة) هنا :

إن المرأة الحامل تُرى هي والجنين المستكين في رحمها شخصًا واحدًا لا شخصين، حتى ولو كان ما في رحمها جنينين أو أكثر.

وبهذا –وقد فرغنا من التمثيل لكل ما أضيفت إليه (أُوْلُواْ، وأُوْلِي، وأُوْلَٰتِ) يثبت يقينا لا شك فيه أن زيادة (الواو) بين الهمزة واللام في هذه الكلمات الثلاث لم تتجرد عن إفادة (قوة الصحبة) في هذه الإضافات جميعًا.

ويثبت يقينا أن ما في الرسم العثماني للمصحف الشريف من خصوصيات خالف فيها الرسم الإملائي الحديث، لم يرد عبثًا ولا اعتباطًا، وليس هو راجعًا إلى اختلاف وجهات نظر كتبة الوحي في رسم بعض الكلمات، كما يحلو للبعض أن يقول، ويثبت أن الدعوة إلى إعادة كتابة المصحف على قواعد الإملاء الحديث دعوة باطلة، وإذا قدر لها –لا سمح الله– أن تكون، لكانت تحريفًا شنيعًا لكتاب الله العزيز، فينبغي أن يكف من يدعو إليها –إن كان حسن النية– عن الهذيان بها مهما كانت المبررات.

بيان الفرق بين ما تضاف إليه ﴿أُوْلُواْ﴾ و﴿أَصۡحَٰبُ﴾:

حفظة القرآن وقارئـوه يعرفون أن كلمة ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ أضيفت فـي القـرآن إلى كلمـات مختلفة، وفيما يأتي إشـارات سـريعة إليها:

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ - ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ - ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ﴾ - ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ - و﴿أَصۡحَٰبُ ٱلسَّفِينَةِ﴾ - ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ ... وهكذا).

وإذا نظر القارئ إلى المضاف ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ وما أضيف إليه في كل موضـع من هـذه المواضع، تبين له فـي وضوح أن المضاف (أصحاب) شيء مستقل الذات في الوجود، وأن المضاف إليه، وهو:

﴿ٱلۡجَنَّةِ﴾ - ﴿ٱلنَّارِ﴾ - ﴿ٱلۡكَهۡفِ﴾ - ﴿ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ - ﴿ٱلسَّفِينَةِ﴾ - ﴿ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ شيء مسـتقل بالذات في الوجود، وعلـى الرغم من وجود معنى الصحبـة بين المضاف والمضاف إليه فإنها صحبة ليسـت قوية لخلوهـا من قوة الاتحاد والمزج، اللذيـن رأيناهمـا فيمـا تضاف إليـه كل مـن: ﴿أُوْلُواْ - أُوْلِي - أُوْلَٰتِ﴾.

ولا يخفـى علـى أحد أن الإمـلاء الحديث اقتبس من الرسـم العثمانـي للمصحـف الشـريف كتابـة هـذه الكلمـات مزيدة بالواو، ولكـن دون مراعاة اللطائف والأسـرار التي رُوعيت في الرسم العثماني للمصحف الشريف.

﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ و﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ و﴿ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ و﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾
﴿بِٱلۡغَدَوٰةِ﴾ و﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ و﴿ٱلنَّجَوٰةِ﴾ و﴿وَمَنَوٰةَ﴾

ويلحق بالحديث عن زيادة الواو زيادتها -أي الواو- في وسط بعض أسماء أخرى تحتوي على معان لطيفة لا تستفاد إلا من هذه الزيادة، وهذه الأسماء التي نتناولها هنا ثمانية:

أربعة أصول هي: الصلاة، الزكاة، الحياة، الربا، وهي قد رُسمت في المصحف الشريف هكذا:

﴿ٱلصَّلَوٰةَ - ٱلزَّكَوٰةَ - ٱلۡحَيَوٰةِ - ٱلرِّبَوٰاْ﴾.

ثم أربعة فروع هي:

(غدوة - مشكوة - نجوة - منوة) مع ملاحظة أن الألف في كل هذه الكلمات الثماني محذوفة، مستعاضًا عنها بألف رأسية صغيرة، كما هو الشأن في الرسم العثماني للمصحف الشريف في كلمات لا تكاد تحصر.

﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾:

تزاد الواو في الصلاة بعد الألف وقبل التاء المربوطة في الرسم العثماني للمصحف إلا في بعض مواضع لم تزد فيها (الواو) لسبب سنعرفه بإذن الله.

وقد دلت هذه الزيادة على تفخيم وتعظيم شأن الصلاة عمومًا، فرضًا كانت أم نفلا، مرتبًا أو تطوعًا؛ لأن الألف واللام في (ٱلصَّلَوٰةَ) لتعريف الجنس الشامل لأفراد ذلك الجنس.

وقد استحقت الصلاة هذا التفخيم والتعظيم لعدة اعتبارات يمكن أن نشير إليها إجمالا : بأن الصلاة أم العبادات .

أما تفصيلا فإننا بالتأمل نجد الصلاة تختص بالميزات الآتية :

أ- أنها أدوم العبادات:

فهي تؤدى في اليوم (نهارًا وليلا) خمس مرات فرضًا .

ب- أنها أكثر العبادات:

لأنها لا يخلو منها يوم من عمر المكلف ، بينما يكون الصيام مرة واحدة في العام ، والحج مرة واحدة في العمر ، والزكاة مرة واحدة في العام .

والصلاة خمس مرات في اليوم ، ومئة وخمسون في الشهر ، وثمان مئة وألف مرة في العام .

ومن حيث الركعات يصلي المكلف في اليوم سبع عشرة ركعة فرضًا : وسبع ركعات نفلا ، أي : أربع وعشرون ركعة في اليوم فروضًا ونوافل مرتبة . وعشرون وسبع مئة ركعة في الشهر فروضًا ورواتب ، وأربعون وست مئة وثمانية آلاف ركعة في العام .

ج- اشتمالها على تلاوة القرآن والتكبير والتسبيح وتمجيد الله -عز وجل-.

د- اشتمالها على (السجود) وفيه يكون العبد أقرب إلى الله وأظهر خضوعًا وخشوعًا حيث يسجد المكلف إجلالا لله وتعظيمًا ثماني وأربعين مرة في اليوم ، وألفًا وأربع مئة وأربعون في الشهر ، وثمانين ومئتان وسبعة عشر ألفًا في العام .

هـ- اشتمالها على عبادة أخرى حال القيام بها ، وهي الصيام ؛ لأن الأكل والشرب فيها يفسد الصلاة .

و- توقف صحتها على الطهارتين الكبرى والصغرى.

ز- توزيعها على أوقات اليوم توزيعًا حكيمًا ، حين طلوع الفجر ، وعند توسط الشمس في كبد السماء ، وحين يبلغ ظل كل شيء مثليه ، وحين غروب الشمس وقدوم الليل ، وحين انمحاء آثار الشمس (الشفق الأحمر) فهي مرتبطة بآيات الله في الكون العظيم .

ح- محوها للذنوب والخطايا، وقد شبهها الرسول ﷺ بالاغتسال في نهر جار في اليوم خمس مرات ، فالاغتسال طهارة للجسم ، والصلوات الخمسة طهارة للروح من الآثام .

هذه المعاني ، وغيرها كثير ، دلت عليها زيادة الواو في الرسم العثماني للمصحف الشريف في كلمة ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فهي لم تزد عبثًا ، وحاشا لله أن يكون في كتابه شيء يخلو من المعاني والأسرار .

إن كتاب الله العزيز لم ترد فيه كلمة ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ خالية من هذه (الزيادة) الرامزة إلى تلك المعاني والأسرار الحكيمة ، إلا في بضعة مواضع هي قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾

(الأنفال : ٣٥)

وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

(الأنعام: ١٦٢)

وقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾

(الإسراء: ١١٠)

وقوله: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾

(النور: ٤١)

وقوله: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾

(الأنعام: ٩٢)

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾

(المؤمنون: ٢)

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾

(المعارج: ٢٣)

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾

(المعارج: ٣٤)

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾

(الماعون: ٥)

هذه المواضع لم تأت (الواو) فيها مزيدة في الرسم العثماني للمصحف الشريف، وهذا قد لحظه الإمام الزركشي، وأشار إليه إشارة مجملة دون أن يكشف عن السر في مجيئها خالية من

الــواو[٢٩]، نذكــر ما هدانا إليه الله -عز وجــل- بعد طول النظر والتأمــل، بحثًا عن الفروق بين ما زيدت فيــه الواو، وما لم تزد فيه.

هــذه الفروق تبينت لنا بجــلاء من النظر فــي النظم القرآني نفسه، لا من شيء سواه: فقد تبين أن ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ التي تزد فيها (الواو) هي ما كان معناها عامًا شــاملا لــكل أفراد الجنس، أما إذا كان المعنى قد دخله شــيء ما مــن الخصوص، فلا تزاد تلك (الواو).

والمواضع التي تقدم ذكرهــا خالية من زيادة (الواو) جاءت كلها مضافة إلى الضمير ســواء كان ضمير متكلم ﴿صَلَاتِي﴾، أو ضميــر مخاطب ﴿بِصَلَاتِكَ﴾ أو ضميــر غائب ﴿صَلَاتَهُۥ﴾ - ﴿صَلَاتِهِمْ﴾ وهذا ظاهر من الآيات المتقدم ذكرها.

ومعلــوم أن الإضافــة نــوع مــن التخصيص والتقييــد، فليس مدلــول (الصلاة) معــراة عن الإضافة، هــي مدلول ﴿صَلَاتِي أو صَلَاتَهُۥ أو صَلَاتِهِمْ﴾ مضافات إلى الضمير.

فشــرط العموم لازم في اســتجلاب زيادة (الواو) فإذا تخلف هذا الشرط رسمت كلمة (صلاة) خالية من الواو.

هــذا هو المعنى الذي لــم يعره أحد انتباهًا، وهو معنى عظيم كما ترى.

---

(٢٩) انظر البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٠٩.

فالصلاة المفخمة المعظمة بزيادة الواو في الرسم العثماني للمصحف الشريف هي الصلاة الجامعة العامة التي معناها (كلي) لا جزئي، ولذا يمكن أن نقول:

إن ما جاء مضافًا من ألفاظ (الصلاة) في القرآن، كان في معناه تخصيص ما اقتضى ذلك ترك زيادة الواو في الرسم، إلا في موضعين جاءت فيهما (الصلاة مضافة) ومع هذا زيدت فيها (الواو) استثناء من القاعدة التي أثبتناها آنفًا.. ولم تأت زيادة (الواو) فيهما اعتباطًا، بل جاءت لمعنى حري بالقبول والتقدير. والموضعان هما: قوله تعالى:

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾

(التوبة: ١٠٣)

وقوله تعالى:

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾

(هود: ٨٧)

وسبب زيادة (الواو) فيهما هو الآتي:

فريق من القراء، وهم حفص عن عاصم والكسائي وخلف قرءوهما في التوبة وفي هود، بالإفراد هكذا (إن صلاتك) بفتح التاء في التوبة، و﴿أَصَلَوٰتُكَ﴾ بضم التاء في هود.

أمـا الباقون مـن القراء فقد قرءوهما فـي الموضعين بالجمع هكذا : (إن صلواتك) بكسـر التاء في التوبة و﴿أَصَلَوٰتُكَ ﴾ بضم التاء في هود[٣٠] .

إذن ، فـإن خروج هذيـن الموضعين عن القاعـدة ، وهي ترك زيـادة الـواو فـي الصـلاة إذا أضيفـت ، سـببه صلاحية الرسـم فيهمـا لقراءتـي الإفراد والجمـع ، وهذا من دقائـق المعاني في خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف .

الزكاة:

زيدت (الـواو) في الزكاة كما زيدت فـي الصلاة ، والمعنى العام الذي زيدت فيهما من أجله واحد ، هو التفخيم في شأنهما وتعظيمهما .

بيـد أن الـزكاة انفـردت بخصوصية زيادة (الـواو) فيها في جميـع مواضع ذكرها فـي القرآن الكريم ، لـم يتخلف فيها أي موضـع من مواضع ذكرها ، بخلاف ما تقدم في الصلاة ، حتى ما لم يأت منها بمعنى إنفاق المال ، مثل قوله تعالى :

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾

(الكهف : ٨١)

إذ ليـس المراد من ﴿زَكَوٰةً﴾ هو الإنفـاق المالي ، بل المراد طهارة الروح وثبات القلب على الإيمان والطاعة لله -عز وجل- .

(٣٠) انظر الحجة في القراءات لأبي علي الفارسي ٤/ ٦.

والسـبب في اطراد زيادة (الواو)في الـزكاة هو أنها لم تأت في الذكر الحكيم مضافة قط، بل معرفة باللام أو منكرة كما في آية الكهف المذكورة آنفًا.

وعدم ورودها مضافة أفاد دلالتها للعموم والشمول والكلية، وهذا شرط في زيادة (الواو) كما تقدم في مبحث الصلاة.

لماذا تفخيم شأن الزكاة؟

كانـت الـزكاة جديـرة بالتفخيـم والتعظيم، مثـل الصلاة، للاعتبارات الآتية:

أ- اشـتراكها مـع الصلاة فـي أن كلا منهما ركـن عملي من أركان الإسلام الخمسة.

ب- تزكيتها المال المزكى وصاحبه، وتطهيرهما، كما جاء في قوله تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ ﴾ (التوبة: ١٠٣)

جـ- الأثر العظيم للزكاة في التكافل والتضامن الاجتماعي، ومعالجة مشـكلات الفقر والعوز، ومواسـاة الأغنيـاء للفقراء، وذوي الحاجـات، وسـد كل خلـل فـي حيـاة الأمـة، ناتج عن التفـاوت في الحظوظ والكسـوبات المالية لتفـاوت الناس في القـدرات والمواهـب، ولحالات العجز عن الكسـب لمرض أو عاهة، أو عدم وجود عمل.

والأموال التي تجب فيها الزكاة أربعة أنواع:

الأول: النقود (الذهب والفضة) وما يقوم مقامها من العملات الورقية الحديثة، أو (الفلوس)(٣١)

الثاني: بعض المحصولات الزراعية.

الثالث: بعض الحيوانات المأكولة اللحم، وتسمى في عرف الشرع: الأنعام أو الماشية.

الرابع: عروض التجارة، وتشمل المال السائل (النقود) وجميع السلع التجارية، التي يتعلق نشاط التاجر بها.

ومع تفاوت النسب في مقادير الزكاة الواجب إخراجها باختلاف نوع المال المزكى، فإن الإسلام خصص جزءا من أربعين جزءا في زكاة النقدين (الذهب والفضة)، وفي عروض التجارة، من مجمل الثروة القومية، وجعل هذا الجزء بالغا ما بلغ حقا للفقراء والمساكين، وأصحاب الأعذار المعتبرة شرعا.

وحصيلة الزكاة من هذا الجزء كفيلة بعلاج حالات الحرمان في المجتمع المسلم ومحو الشقاء.

لهذه الاعتبارات رمز الرسم العثماني للمصحف الشريف بزيادة (الواو) في كلمة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ولم تأت هذه الزيادة مقحمة خالية من الدلالة على هذه اللطائف والأسرار.

---

(٣١) الفلوس هي كل ما سك من النقود من غير الذهب والفضة: أي بدائل الدينار الذهبي والدرهم الفضي.

﴿ٱلۡحَيَوٰةِ﴾:

من الأصول الأربعة، التي زيدت فيها (الواو) في الرسم العثماني في وسط الأسماء كلمة (الحياة) سواء كانت معرفة أو منكرة.

وجاءت هذه الزيادة رمزا -كذلك- على ما للحياة من فخامة وعظمة؛ لأنها مبدأ الوجود، والحركة، والنشأة، وعمارة الأرض، واستثمار ما فيها من طاقات ونعم لا تحصى.

الحياة هي الوجود، ومناط الخلافة في الأرض، ومن النظر في مقامات ورود كلمة (الحياة) في لغة القرآن، يبدو أن شرط زيادة (الواو) فيها أن يكون معناها كليا شاملا، أما إذا دخله نوع ما من (الخصوص) فلا تُزاد فيها (الواو) كما تقدم في (الصلاة) وهذه أمثلة تؤكد ذلك:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾

(البقرة: ٢٠٤)

﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾

(آل عمران: ١٤)

﴿فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾

(النساء: ٧٤)

﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾

(الأنعام: ٣٢)

فــي الآيــات الأربــع دلــت كلمــة ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ﴾ علــى العمــوم والشمول، واطردت فيها زيادة (الواو) لوجود شرط زيادتها.

ما لم تزد فيه (الواو):

﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا﴾

(الأحقاف: ٢٠)

﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾

(الأنعام: ٢٩)

﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾

(الفجر: ٢٤)

إن المعنــى المراد من: ﴿حَيَاتِكُمُ ـ حَيَاتُنَا ـ لِحَيَاتِي﴾ معنى خاص هــو حياة المضاف إليه، وهو كاف الخطاب في الأولى، وضمير الجمع المتكلم في الثانية، وضمير المفرد المتكلم في الثالثة.

وبهذا يبــدو بكل وضوح أن (خصوصيات الرســم العثماني للمصحف الشريف) تسير على منهج منظم، ودقيق كل الدقة، مما يدعو إلى اليقين بأن ما بين دفتي المصحف كله معجز.

﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾:

هــذا هو الأصل الرابع من الأصول التي تزاد فيها (الواو) في الرســم العثماني للمصحف الشريف، رمزا إلى معنى تدل عليه هذه الزيادة.

هــذا المعنى هو التفظيع والتهويــل والتنفير من الربا مصدرا من مصادر الكسب الخبيث.

وهذا تراه واضحا في الآيات الآتية:

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ **(البقرة: ٢٧٥)**

﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾

(البقرة: ٢٧٦)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾

(آل عمران: ١٣٠)

﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ﴾

(النساء: ١٦١)

وردت كلمة ﴿ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ في هذه الآيات ست مرات، وقد زيدت فيها (الواو) بين الباء والألف في المرات السابقة مرادا من هذه الزيادة تهويل شأن الربا وتفظيعه والتنفير منه.

إلا موضعا واحدا...

نعم، إلا موضعا واحدا من مواضع ورود كلمة ﴿ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ في القرآن لم ترد فيها هذه الزيادة، وهو قوله تعالى:

﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾

(الروم: ٣٩)

وإنما لم تزد الواو هنا لذهاب معنى الكلية المعهودة في الأذهان، المفادة من تعريف ﴿رِّبًا﴾ باللام في المواضع الستة الآنفة الذكر ؛ لأن التعريف فيها صرف الذهن إلى معنى ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ المعروف لدى المخاطبين، أما في هذه الآية فقد جاءت الكلمة نكرة ﴿مِّن رِّبًا﴾ بدخول حرف الجر الزائد من حيث اللفظ لا من حيث المعنى، وهذا كثير الورود في القرآن مثل :

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾

(هود : ٦)

وقوله تعالى :

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾

(البقرة : ٢٧٠)

وهذه الصياغة لا تدل على المعنى الكلي العام، بل على تتبع جزئيات ذلك المعنى، وهذا نوع من الخصوص، سوَّغ ترك زيادة الواو في هذا الموضع.

وقد دخله الخصوص من جهة أخرى، نص عليها بعض المفسرين، وهي احتمال ﴿رِّبًا﴾ هنا لهبة الثواب وهي مما أجازها بعض الفقهاء.(٣٢)

وبهذا ينتهي الحديث عن الأصول الأربعة المتقدم ذكرها.

---

(٣٢) هبة الثواب هي ما يجري بين الناس في بعض المناسبات كالنقوط في الأفراح، وقد رخص فيها مذهب الإمام مالك فيردها آخذها بأكثر منها، وهي ليست من القروض التي جرّت نفعًا بل من باب «المعروف» الذي تحسن المكافأة عليه.

الفروع الأربعة: [٣٣]

الغداوة:

زيــدت الواو في هذه الكلمة بعد الألف، وقبل التاء، والأصل أن تكتــب هكذا: «الغداة» وقد وردت فريدة بالواو في موضعين من القرآن الكريم هما:

﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾
(الأنعام: ٥٢)

وقوله جل وعلا:

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (الكهف: ٢٨)

والسر اللطيف الذي رمزت إليه هذه الزيادة هو التنويه ولفت الأذهــان إلى فخامة ما تدل عليه كلمــة «الغداة» فالغدو والغدوة والغداة هي مبدأ الحركة والانطلاق نحو الخير العاجل والآجل.

وقد قوبلت بالعشــي، وعشية الشيء نهايته كما قوبل الغدو بـ الآصال في سورة النور في قوله تعالى:

﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾
(النور: ٣٦)

فالغداة والغدو هما بداية حركة الحياة، من أجل ذلك فخمت ﴿ بِٱلْغَدَوٰةِ ﴾ بزيادة الواو ومما زاد في فخامة معناها وقوع ذكر الله فيها في الآيتين الكريمتين.

---

(٣٣) يراد بـ «الفروع» ما وردت فيه الزيادة في موضع أو في موضعين لا أكثر.

ونذكّـر هنـا : بالبركة فـي البكـور، وكراهية النـوم في هذا الوقت الفاضل.

المشكاوة:

هذه الكلمة من فرائد القرآن، لم تذكر فيه إلا مرة واحدة في قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾

(النور: ٣٥)

هذه الآية تمثيل لعظمة هداية الله لأهل السـماوات والأرض، وهداية الله من الأمور الذهنية العقلية وليست كتلة مادية.

ونور الله مستعار لهدايته ووحيه إلى رسله، وجملة:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾

مشـبه، وقد أقيم مقامـه في الآية كلمـة ﴿مَثَلُ﴾ مضافة إلى كلمة ﴿نُورِهِۦ﴾.

فمـا قبـل ﴿مَثَلُ﴾ هذه مشـبه في المعنـى دون اللفـظ، أما ﴿مَثَلُ﴾ فهو المشـبه، ولا يكون ﴿مَثَلُ﴾ مشبها ولا مشبها به إلا فـي الأمور الفخمة العظيمة، كما في هذه الآية الكريمة؛ لأن «نور الله» لا شيء أجل وأعظم منه في الوجود.

و﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ وإن دخلت عليها أداة التشبيه، وهي «الكاف» فليست هي بمفردها المشبه به، بل هي وما وقع في حيزها من المصباح، والزجاجة، ونعت هذه الزجاجة، والكوكب الدري... إلخ.

فالتشبيه في الآية الكريمة ليس من قبيل تشبيه مفرد بمفرد، كتشبيه الشجاع بالأسد، والكريم بالبحر، بل هو من التشبيهات المركبة، التي طرفاها مركبان، صورة بصورة وهيئة بهيئة، الذي يكون المشبه والمشبه به فيه مكونًا من عدة عناصر(٣٤).

وإنما دخلت أداة التشبيه على كلمة (مشكاة) لأنها أهم عناصر الصورة المشبه بها.

وكلمات الآية، وتراكيبها، كلها مشرقة مضيئة:

﴿ٱللَّهُ نُورُ﴾ - ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ - ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ - ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ - ﴿كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ - ﴿يُوقَدُ﴾ - ﴿مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ - ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾ - ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ - ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ - ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾.

من أجل هذه المعاني الفخمة، العظيمة، زيدت الواو في (مشكاة) تفخيما لشأنها وتلميحا إلى كمالها في الإضاءة وطاقة الضوء الهائلة، المرئية فيها.

---

(٣٤) انظر الإيضاح للخطيب القزويني، مبحث التشبيه والتمثيل.

و(المشكاة) هي الكوة غير النافذة في الجدار، حتى لا يتبدد ضوؤها، أو يناله شيء ما من الضعف، ولعلك تدرك من النظر في نظم الآية وتراكيبها كيف ترقّى البيان القرآني في الصعود بالصورة المشبه بها، حتى بلغت الكمال من حيث المعنى الذي أراده الله منها، وهو توضيح كيفية هداية الله للناس، بما لا يحتاجون معه إلى هاد يهديهم مع الله – جل وعلا – .

ٱلنَّجَوٰةِ :

وهذه من فرائد القرآن كذلك، وإن كانت مادتها لها ورود فيه، لكن ليس على هذه الصيغة الاسمية المعرفة باللام.

وكان ورودها في قوله تعالى:

﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾

(غافر: ٤١)

وزيادة «الواو» فيها بين الألف والتاء رمز كذلك إلى تفخيمها وتعظيمها؛ لأنها نهاية درجات الفلاح والفوز في الحياتين: الدنيا والآخرة، وهي متضمنة معنى «الجنة» بدليل مقابلتها بـ «النار».

وإذا سأل سائل: إذا كان المراد من النجاة الجنة، فلماذا عدل البيان القرآني عن الجنة إلى النجاة؟

والجواب: إن معنى النجاة أعم من معنى الجنة، فالنجاة تشمل الفلاح في الدنيا، والفوز بالنعيم المقيم في الآخرة، أما «الجنة» فمعناها مقصور على نعيم الآخرة.

وفـي الغداة والنجاة سـر آخـر تدل عليه زيادة الـواو فيهما، وهـو الإلماح إلى الأصل اللغوي فـي جذر كل منهما، فالغداوة، من غدا يغدو.

ٱلنَّجَوٰةِ : من نجا ينجو.

فالواو فيهما هي لام الفعل، كغزا يغزو، ونما ينمو، ودعا يدعو.

وَمَنَوٰةَ :

وهذه كسابقتيها من فرائد القرآن، وقد وردت في قوله تعالى:

﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾

(النجم: ١٩، ٢٠)

وهـي من أصنام العرب في الجاهلية، وقد زيدت فيها «الواو» بيـن الألـف والتاء لا لتعظيمهـا وتفخيمها، بل لتهويل شـأنها وتفظيعـه وقبحـه؛ لأنها قاعـدة الضلال لأن عبـدة الأصنام من العرب كانوا يعظمونها بنوع خاص من التعظيم.

يذبحون عندها النسائك تقربا إليها، ويرفعون إليها حوائجهم ويتبركون بها ويسألونها إنزال الغيث من السحاب(٣٥).

ولذلـك أفردها الله بوصف الـذم ﴿ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ ردا على تعظيم المشركين لها ورجائهم الخير منها.

وهكـذا يتضح لنـا بكل جـلاء: أن زيادة «الواو» في الرسـم العثمانـي في بعض الكلمات، إنما كانـت رموزا لمعان لطيفة، وأسرار شريفة، سواء كان ذلك في حذف «الواو» أو في زيادتها، أو في غير الواو كالألف والياء كما سيأتي.

---

(٣٥) انظر الكشاف للإمام الزمخشري (٤/ ٣٠).

زيادة الواو في أواخر الأسماء

لـم ترد هذه «الـواو» مزيدة في أواخر الأسـماء إلا بضابطين مطردين:

أحدهما: أن يكون الاسـم المزيدة فيه مرفوعًا لا منصوبًا ولا مجرورًا.

والثاني: أن يكون الاسم مقطوعًا عن الإضافة إلى الضمائر.

وهـذه الزيـادة - كمـا عهدنا - تأتـي مرموزًا بهـا إلى معنى لطيف فهي من حيث الرسـم الخطـي تعتبر زائدة، أما من حيث المعنى فتأتي متمكنة أصيلة.

وفيما يلي أمثلة من لغة القرآن توضح كل ذلك وتجليه:

عُلَمَـٰٓؤُاْ:

من ذلك قوله تعالى:

﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ﴾

(الشعراء: ١٩٧)

هـذه الآية نزلـت ضمن آيات تبيـن موقف كفـار العرب من القـرآن الكريـم وعـدم إيمانهم بأنـه وحي الله إلـى محمد ﷺ وكانـوا قد بعثوا إلى يهود يثرب يسـألونهم عـن القرآن أهو من عند الله فأخبروهم أن نبيّا سيبعث صفته كذا وكذا وأن هذا زمان ظهوره [٣٦].

---

(٣٦) انظر: فتح التقدير للإمام الشـوكاني (١٢٦/٤) والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام ابن عطية (٨٠/١٢).

ومع ذلك أصروا على كفرهم به وإعراضهم، والمراد من علماء بني إسرائيل هم الذين آمنوا منهم بعد الهجرة: كعبد الله بن سلام لما عرفوه من الحق فيما أنزله الله إليهم، وهذا ثناء من الله عليهم؛ لأنهم جهروا بالحق لمبعوثي قريش إليهم.

وزيادة «الواو» في ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ﴾ والأصل: علماء بهمزة مضمومة لكن زيدت «الواو» رامزة إلى معنى لطيف هو تفخيم وتشريف وتكريم هؤلاء العلماء لأنهم أعلنوا الحق الذي علموه ولم يكتموه، كما فعل الآخرون من أحبارهم وكذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾

(فاطر: ٢٨)

زيدت «الواو» في كلمة ﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ كما زيدت في ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وسبب الزيادة في الموضعين واحد هو التعظيم والتفخيم والتكريم.

وقد عرفنا جهة التفخيم في ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ﴾، أما جهة التفخيم في ﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ هنا فهي أن الله – عز وجل – حصر خشيته فيهم وقصرها عليهم قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًا، وهي شرف عظيم لمن يتصف بها وفضل ليس فوقه فضل.

فقد وضح من المثالين المتقدمين أن زيادة «الواو» فيها، وهي خصوصية قرآنية إنما كانت لمعنى لطيف، فإن قال قائل: إن التعظيم والتفخيم في الموضعين مستفاد من المقام، وقرائن الأحوال، وليس من زيادة «الواو» قلنا: إن في زيادة «الواو» لفتًا

قويًا للأذهان إلى هذا المعنى؛ لأن الشيء إذا جاء على خلاف الأصل كان باعثًا على التأمل والبحث عن السر وراء هذه المخالفة أو الخصوصية فهي مثل (النبر) في الكلام.

نَبَؤُاْ:

ومن ذلك كلمة ﴿نَبَؤُاْ﴾ وأصلها أن تكتب في الرسم الإملائي الحديث هكذا «نبأ» بهمزة مضمومة فوق الألف لكنها جاءت في الرسم العثماني للمصحف الشريف واوًا فوقها همزة وذلك في موضعين من القرآن في سورة واحدة:

أولهما قوله تعالى:

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾

(ص: ٢١)

زيدت «الواو» في هذا الموضع للدلالة على تهويل الحدث المدلول عليه بكلمة ﴿نَبَؤُاْ﴾ لما فيه من غرابة بادية من قوله - عز وجل -:

﴿إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾

لأن الدخول المعهود يكون من الأبواب مع حصول الإذن من المدخول عليه وهو هنا داود عليه السلام والخصم موضوع الحديث في هذه الآيات دخل على داود من جهة غير معهودة.

وهذه إحدى جهات التهويل وجهة أخرى بادية من قوله - عز وجل- مخبرًا عن داود:

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾

والفزع لا يكون إلا من الأحداث الفادحة وبخاصة إذا اقترنت بعنصر المفاجأة وهو الوثوب من فوق المحراب.

إنها عملية مفزعة حقًا حملت نبيًا كريمًا على الانزعاج والاضطراب؛ لهذا استحق هذا النبأ حين قصه الله على رسوله محمد ﷺ أن يصور في صياغة فخمة تناسبه، وأن يكون لنظر القارئ وبصره من هذا «الرسم الخطي» ما لبصيرته من الاستدهاش والاستغراب وأن يكون ما يثير البصر لدى الناظر في كتاب الله مقدمًا على ما يثير البصيرة.

فالذي يخاطب البصر هو زيادة «الواو» في ﴿نَبَؤُاْ﴾ والذي يثير البصيرة هو جملة ﴿تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ فليست زيادة «الواو» هنا مقحمة بلا معنى، وليست هي ناتجة عن اختلاف وجهات نظر كتبة الوحي في رسم بعض الكلمات، كما يحلو للبعض أن يفهم وأن يقول، بل هي زيادة في الرسم مقصودة قصدًا ووراءها معنى تسجد لإعجازه العقول.

أما الموضع الثاني فهو قوله تعالى:

﴿قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾

(ص: ٦٧)

الخطاب في ﴿قُلۡ﴾ للرسول الكريم محمد ﷺ، ومما تجدر الإشارة إليه أن فعل الأمر ﴿قُلۡ﴾ في القرآن الكريم في صيغة المخاطب المفرد المذكر هو خاص برسولنا الكريم ما عدا موضعًا واحدًا:

هو قوله تعالى:

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾

(الإسراء: ٢٣)

فهــو خطاب لغيره قطعًا لأن والدي رســول الله ﷺ لم يكونا حييــن حين نزل القرآن وكل موضع خوطب فيه ﷺ بفعل الأمر هذا ﴿قُلْ﴾ مؤذن بأن مضمون الخطاب حقيقة عظيمة ورســالة جليلة الشأن يجب تبليغها إلى من عني بها فورًا وبلا تراجع.

وفي الآية موضوع الحديث هنا:

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾

زيــدت «الواو» في ﴿نَبَؤٌاْ﴾ للدلالة علــى مضاعفة مقتضيات التعظيم والتفخيم لهذا النبأ ومن حيث التراكيب التي ورد فيها ﴿نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾ نجــد البيان القرآني أخرجه في هالة من مقتضيات الفخامة والعظمة وهي كما يأتي:

أ- اشــتقاقه من مــادة (ن-ب-أ) دون مــادة (خ-ب-ر) لأن المادة الأولى تســتعمل في الأمور المهمة، الجليلة الشــأن، أما المادة الثانية فلا يشترط فيها ذلك.

لذلك قال: ﴿نَبَؤٌاْ﴾ ولم يقل: خبر.

«لأن النبــأ خبــر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة،

وحق الخبر الذي يقـال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالمتواتر وخبر الله ورسوله»[٣٧].

لذلك قال: ﴿نَبَؤٌا﴾ ولم يقل: خبر.

ب- الإتيان به في صورة النكرة ﴿نَبَؤٌا﴾ ومن معاني التنكير في البلاغة: التعظيم ويستفاد من هذا المعنى من المقام المسوق فيه الكلام أو ما يسـمى - بلاغة قرائن الأحوال - وهي - هنا - تدل على التعظيم.

جـ- وصف هذا النبأ - هنا - بـ﴿عَظِيمٌ﴾ يعني: جليل الشأن، رفيع القدر.

د- زيادة «الواو» فجيء به هكذا ﴿نَبَؤٌا﴾ ولم يأت: نبأ.

وإنمـا تضامت مقتضيات التفخيم والتعظيم وتآزرت في هذا الموضـع؛ لأن هذا النبأ حاز من عناصـر الفخامة والعظمة ما لم يحزه نبأ سواه ذلك لأنه إعلام من الله علام الغيوب بوقائع غيبية ليس لأحد من البشر علم بها إلا عن طريق الوحي الصادق.

وهذا هو ما تصوره الآيات الآتية:

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي

---

(٣٧) انظر: مفردات الراغب ٤٨١ مادة (النون والباء والهمزة).

فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

(ص: ٦٧ - ٧٤)

فمـن الـذي كان حاضرًا من البشـر - وهم كانـوا لم يخلقوا بعد - هذه الوقائع في الملأ الأعلى (الملائكة) لمَّا حدثتْ؟

ومن منهم سمع كلام الله يوم صدوره للملائكة؟

لهـذا كان إعلام الله رسـوله بمـا حدث نبأ عظيمًـا حقًا، ولا يرتاب في هذا إلا حائد عن الحق.

وكذلك قوله - عز وجل -:

﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

(الأنعام: ٥)

زيـدت «الـواو» فـي كلمة ﴿أَنۢبَٰٓؤُاْ﴾ فـي الرسـم العثماني للمصحف الشريف وكان الأصل أن ترسم هكذا: أنباء بهمزة مضمومـة وقد اجتلبت هذه الزيادة لإفادة التهويل والتفظيع، ومقتضى هـذا التهويل هو المبالغة فـي التهديد والتخويف؛ لأن الكلام مسـوق في الحديـث عن الذين كفـروا وأعرضوا عـن الحق الذي جاءهم به محمد رسـول الله ﷺ فقد وصفهم القـرآن في بدايات سـورة (الأنعـام) بأنهم يسـاوون بين الله وبيـن شـركائهم وأنهم ممترون شـاكون في صدق الرسـالة والرسول ثم قال:

﴿ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴾
(الأنعام : ٤)

ثم جاء قوله تعالى :

﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾

تهديدًا ووعيدًا لهم إذا لم يرعووا عن غيهم وضلالهم، ومعلوم أن التهديد بالمصير الفظيع أبلغ في التأثير من الوعيد اليسير .

من أجل هذا زيدت « الواو » في ﴿ أَنۢبَٰٓؤُاْ ﴾ وجاءت هذه الزيادة لافتة الأذهان لفتًا قويًا إلى فظاعة وهول ما تتضمنه هذه الأنباء من معان وأحداث يوم يجعل الولدان شيبا .

وسدت هذه الزيادة مسد أن يقال : الأنباء ، الفظيعة آثارها ، المهولة أحداثها .

ومثل آية الأنعام قوله تعالى :

﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾
(الشعراء : ٦)

والحديث فيها عن مشركي العرب ، وقد أشارت الآية الخامسة من سورة الشعراء وهي :

﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ﴾

إلى المعنى الذي تصدرت به آية الأنعام :

﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ ﴾
(الأنعام : ٥)

حيث أجملت آية الأنعام موقف المشركين في آية واحدة، وأفردته سورة الشعراء في آيتين، والمقام في السورتين واحد تكذيب وإعراض.

لذلك زيدت «الواو» في كلمة ﴿أَنۢبَـٰٓؤُاْ﴾ في السورتين تعظيمًا وتهويلًا لسوء مصيرهم، فما تحمله تلك الأنباء من وعيد، شديد مؤلم.

وكذلك قول الحق عز وجل:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التغابن: ٥)

هذه الآية جمعت بين توبيخ مناهضي الدعوة من العرب وبين تهديدهم ووعيدهم بأن ينتقم الله منهم كما انتقم من مكذبي الرسل قبلهم كعاد وثمود وهم عرب مثلهم دمرهم الله فلا يُرى منهم من باقية.

وجاءت زيادة «الواو» في ﴿نَبَؤُاْ﴾ مشيرة إلى فظاعة المصير الذي كان لعاد وثمود وأمثالهم، وأنه هو المصير نفسه الذي ينتظر هؤلاء إذا لم يبادروا إلى الإيمان بالحق الذي جاء به خاتم النبيين ﷺ.

وكلمة «جزاء» مرفوعة ومقطوعة عن الإضافة إلى الضمائر، وردت في القرآن الكريم مرات وتفاوت رسمها الخطي فيه بين مجيئها بالهمزة المضمومة هكذا «جزاء» وبين مجيئها مزيدة بالواو هكذا ﴿جَزَٰٓؤُاْ﴾ والأول هو الأكثر.

ومحال – كما علمنا – أن يكون هذا التفاوت الخطي خاليًا من الدلالة وإنما يأتي الرسم الخطي بالهمزة المضمومة إذا لم يقتض المقام تفخيمًا ولا تهويلًا.

ويأتي بالواو المزيدة في الرسم إذا كان المقام يقتضي تفخيمًا أو تهويلًا وتفظيعًا.

جَزَٰٓؤُاْ:

وهذا يظهر بكل وضوح من المقام نفسه الذي تأتي فيه كلمة «جزاء» غير مزيدة بالواو أو ﴿جَزَٰٓؤُاْ﴾ مزيدة بالواو.

ونسوق لتوضيح ذلك شاهدين من سورة واحدة وهما:

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

(المائدة: ٢٩)

جاءت كلمة ﴿جَزَٰٓؤُاْ﴾ مزيدة بـ«الواو» رمزًا إلى أن هذا الجزاء فظيع شديد الإيلام وهو الخلود في النار، وقدم البيان القرآني لهذا التهويل والتفظيع بالنص على تحمل الجاني بجريمتين لا جريمة واحدة.

الأولى: تحمله جريمة قتل أخيه المسالم الوديع.

والثانية: تحمله جريمة نفسه(٣٨).

(٣٨) يلاحظ القارئ أن الفعل ﴿تَبُوٓأَ﴾ قد زيد فيه ألف بعد الواو ووضعت الهمزة عليه وكان الأصل أن يكتب هكذا «تبوء» وقد نص أهل العلم أن زيادة الألف فيه للدلالة على كثافة الإثم الذي ارتكبه ابن نوح قاتل أخيه وسيأتي هذا في مباحث حذف الألف وزيادتها في «خصوصيات» الرسم القرآني.

فالمقــام – كما ترى – اقتضى تفظيع الجزاء وتهويله، ولولا هذا الاعتبار ما زيدت «الواو» في آخر الفعل.

هذا هو الموضع الأول، أما الثاني فهو قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

(المائدة: ٣٣)

بولــغ في تفظيــع وتهويل الجــزاء في هذه الآيــة فزيدت فيه «الواو» لأن المقام يقتضي هذا التفظيع لقبح الجرائم المرتكبة وهي:

● محاربــة الله – عــز وجــل – أي معصيتــه وانتهــاك أوامــره ونواهيه.

● محاربــة رســول الله ﷺ فيمــا جــاء بــه من عنــد الله – عز وجل –.

● الســعي في الأرض بالفساد وهي جملة جامعة لكل معصية في حق الله وحق العباد:

– قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

– انتهاك الأعراض.

- اغتصاب الأموال أو سرقتها.
- ترويع أمن المجتمع والأفراد.
- قطع الطريق وتخويف الآمنين.

ولفظاعة هذه الجرائم كان الجزاء فظيعًا:

- ليس التقتيل فحسب.
- بل التصليب مع التقتيل.
- وتقطيع الأيدي والأرجل.
- والحبس أو التغريب (٣٩).

هذا الخزي لاحق بهم في الدنيا، أما في الآخرة فلهم عذاب عظيم لهذه الاعتبارات جميعًا:

فظاعة الجرائم، وتغليظ العقوبات العاجلة في الدنيا، وسوء المصير في الآخرة، زيدت «الواو» في ﴿جَزَٰٓؤُاْ﴾ للدلالة علي فداحته وسوء منقلب محاربي الله ورسوله العاثين في الأرض مفسدين.

أما إذا لم يرد التفظيع والتهويل وكان المقام وقرائن الأحوال دالين على انعدام تلك الإرادة فتأتي كلمة «جزاء» في

---

(٣٩) اختلف الفقهاء في المعنى المراد من قوله تعالى: ﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ فذهب الحنفية إلى أن المراد من النفي هو الحبس.

وذهب غيرهم إلى أن المراد منه هو تغريب المجرم وترحيله من بلده الذي ارتكب فيه الجريمة إلى بلد آخر لا يعرف هو فيها أحدا ولا يعرفه أحد.

الرســم القرآني خالية من زيادة «الواو» وفيما يأتي نذكر مثالين توضيحيين:

أولهما قوله سبحانه وتعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾ (المائدة: ٩٥)

لــم تزد «الــواو» في كلمة «جزاء» هنــا؛ لأن المقام لم يقتض تفظيعا ولا تهويلا؛ لأن الجزاء المذكور في الآية هنا، هو مجرد غرامــة تلزم المعتــدي على الصيد وهو محرم فهــو ـ إذن ـ جزاء دنيوي يســير، لا تأثير لــه على الملزم به فــي بدنه، لذلك خلا «جزاء» من زيادة «الواو» كما ترى.

والمثال الثاني قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا ﴾

(يونس: ٢٧)

المقــام ـ هنــا ـ يدل على مقابلة ســيئة بســيئة مثلها في حال اكتساب السيئة في الحياة الدنيا، وهذا من رحمة الله بالناس، إذ جعل الحسنة بعشر أمثالها، وجعل جزاء كل سيئة سيئة مثلها، ولمــا خلا المقام من مقتضيات مضاعفــة الجزاء وتهويله، خلا رسم «جزاء» من زيادة «الواو».

وهــذا دليل تلو دليل، على أن خصوصيات الرســم العثمانى للمصحف الشــريف حافلة بدقائق المعانــي، وروائع اللطائف، ولولا تلك «الخصوصيات» ما كانت تلك المعاني والأسرار.

دُعَـٰٓؤُاْ :

ومنه قوله تعالى في شأن أهل النار، وهم يعانون الويل والثبور من عذابها :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمًا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾

(غافر : ٤٩ ، ٥٠)

زيدت «الواو» في قوله تعالى، حاكيا قول الملائكة في كلمة ﴿دُعَـٰٓؤُاْ﴾ والأصل أن تكتب هكذا : دعاء بالهمزة المضمومة.

والـذي اقتضى هـذه الزيادة الدلالة اللطيفـة على كثرة دعاء أهل النار، وصياحهم الذي لا ينقطع طامعين أن يفرج الله عنهم.

وقد صور القرآن دعاء أهل النار في صورة الصياح والاصطراخ، جاء ذلك في قوله - جل وعلا- .

﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعۡمَلُ ﴾

(فاطر : ٣٧)

إن كلمـة «يصطرخـون» توحـي بظلال كثيفة مـن الجعجعة والصيـاح والعويـل الـذي لا يتوقـف ـ بمـا فـي هـذه الكلمـة «يصطرخون» من جرس مدوٍّ، وصخب عالٍ.

وكانـت زيـادة «الـواو» فـي ﴿دُعَـٰٓؤُاْ﴾ هي اللافتـة إلى هذه الدقائق والأسرار.

ومما يجلي هذا ويؤكده أن هذه العبارة متضمنة كلمة «دعاء» جاءت في موضع آخر من القرآن المعجز بكل ما فيه من مفردات وتراكيب ورسم خطيٍّ وليس منها واو زائدة، ترى ذلك في قوله تعالى:

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾

(الرعد: ١٤)

إن العبارة هي هي في السورتين:

﴿وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾

(غافر: ٥٠)

وليس بين ورودها في الموضعين أي اختلاف إلا زيادة «الواو» في آية سورة غافر، وترك زيادتها في آية سورة الرعد.

وهذا يثير سؤالا مهما:

لماذا زيدت «الواو» في آية غافر، ولم تزد في آية سورة الرعد؟

والجواب الكافي الشافي: زيدت في غافر لإفادة التهويل؛ لأن الكافرين فيها يدعون رهبة ورغبة: رهبة من شدة العذاب الذي هم فيه، ورغبة في تخفيف الله عنهم يوما من ذلك العذاب المؤلم.

أما في سورة الرعد فالكافرون يدعون أصنامهم رغبة في حصول النفع، وهم حين يدعونهم يرفلون في نعم الدنيا،

وليس لديهم أدنى إحساس بأي عذاب ؛ فدعاؤهم هادئ فاتر رخو ، أما ﴿دُعَـٰٓؤُاْ﴾ أهل النار فهو دعاء مصبوغ بالآلام ؛ لذلك هوّل بزيادة «الواو» فيه.

وأمامنا مثل آخر يؤكد - إلى درجة اليقين - أن خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف إنما هي أدوات تعبير صامتة ناطقة تدل على معانٍ مقصودة قصدا ، وليس هي من اختلافات كتبة الوحي في رسم الكلمات حتي تأتي كلمة أو كلمات فيه برسم ، وأخرى مماثلة للأولى برسم آخر جارية على وجهات النظر المختلفة لكتبة الوحي.

هذه النظرية ينبغي أن تزول من الأذهان ، وعلاوة على ما تقدم نسوق أمثلة أخرى من الكلمات التي لم تأت مخالفة للرسم الإملائي الحديث فحسب بل جاء رسمها في المصحف على صورتين مختلفتين ، وهذا هو البيان :

بَلَآءٌ :

كلمة ﴿بَلَآءٌ﴾ وردت في القرآن مرسومة كما ترسم في الخط الإملائي الحديث هكذا «بلاء» بهمزة مضمومة بعد الألف ، وهذا هو الأكثر في لغة القرآن ، ومنه الآيات الآتية :

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

(البقرة : ٤٩)

﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾

(الأعراف : ١٤١)

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾

(إبراهيم : ٦)

كلمة « بلاء » في المواضع الثلاثة كما ترسم في الخط الإملائي، ويلاحظ أن قوله تعالى :

﴿ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾

في الآيات الثلاثة جاء تعقيبا على أحداث واحدة هي صور اضطهاد آل فرعون لبني إسرائيل في مصر، ثم انظر إلى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾

(الصافات : ١٠٦)

فقد رسمت فيه كلمة ﴿ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ﴾ مزيدة بـ « الواو » المضمومة تحت الهمزة وهذا يتولد عنه سؤال لحوح : لماذا زيدت « الواو » في آية الصافات ولم تزد من قبل في آيات : البقرة والأعراف وآية إبراهيم ؟

هل هذا يرجع إلى اختلاف وجهات نظر كتبة الوحي في رسم الكلمات فيكون الذي كتب آية إبراهيم والأعراف والبقرة غير الذي كتب آية الصافات ؟ وهل هذا الاختلاف في الرسم خالٍ من الدلالة ؟

والجواب : كلا ثم ألف كلا ، وإنما زيدت «الواو» في كلمة ﴿ٱلْبَلَٰٓؤُاْ﴾ في آية الصافات لأنه أشد وقعا بكثير من البلاء في الآيات الثلاث ، فالبلاء في الآيات الثلاث كان حاصلا بالفظائع التي ارتكبها آل فرعون مع بني إسرائيل من سومهم سوء العذاب ، وتذبيح ذكورهم ، واستحياء إناثهم ، إنه بلاء عظيم حقا .

أما ﴿ٱلْبَلَٰٓؤُاْ﴾ في آية الصافات فهو أعظم وأشق من البلاء الذي كان واقعا على بني إسرائيل من آل فرعون ؛ لأن الله أمر إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه الوحيد الذي رزقه الله إياه بعد شوق طويل ، وهذا تكليف شاق لا عهد للناس به ، وإبراهيم عليه السلام لم يكن قاسي القلب جاف المشاعر حتى يسهل عليه سفك الدماء ، بل هو كما وصفه ربه :

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾

(هود : ٧٥)

فكيف لرجل هذا وصفه أن يجرؤ ويمسك المدية ويضطجع فلذة كبده ، ويحز رقبته ؟

لذلك كان ﴿ٱلْبَلَٰٓؤُاْ﴾ الذي حمله الله إياه أعظم وأثقل

عشــرات المــرات من البــلاء الــذي رزح تحته بنو إســرائيل في مصر.

لذلك زيدت «الواو» فيه ولم تزد في بلاء بني إسرائيل.

للدلالة علي أن ﴿بَلَـٰٓؤُاْ﴾ إبراهيم أشد ألما وأقسى وقعا على النفس.

كلاهما اختبار عظيم، لكــن اختبار الله لإبراهيم بذبح وليده الحبيب أعظم من تذبيح فرعون أبناء بني إسرائيل.

وإلى هذا رمــزت زيادة «الواو» في كلمة ﴿بَلَـٰٓؤُاْ﴾ في كتاب الله المعجز بكل شيء فيه.

ومثل آية الصافات قوله – جل ثناؤه –:

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ﴾

(الدخان: ٣٣)

الحديــث في هذه الآية عن بني إســرائيل وفــي إجمال حكيم لــكل ما ابتلى الله به بني إســرائيل في التاريــخ النبوي كله، وفي كل مراحل حياتهــم ومواطنهم التي مروا بها، ولما كانت كلمة ﴿بَلَـٰٓؤُاْ﴾ في الآية تشمل كل الأحداث التي مر بها بنو إسرائيل من وقــت خروجهم من مصر حتى وقت الرســالة الخاتمة، فخم رسمها فزيدت فيها «الواو» رامزة إلى تلك الوقائع العظيمة مثل:

● ابتلاع عصى موسى ألاعيب سحرة فرعون.

● انفــلاق البحر أمامهم اثني عشــرة فرقــا كل فرق كالطود العظيم.

- إخراج الماء من الحجر اثنتي عشرة عينا .
- إنزال المن والسلوى من السماء لهم .
- ارتفاع الجبل «طور سيناء» فوقهم كأنه ظلة .
- إنجاؤهم من آل فرعون .
- تجلي الله للجبل أمام رسولهم موسى عليه السلام .
- إغراق فرعون وملئه في البحر .

من أجل هذا زيدت «الواو» في ﴿بَلَـٰٓؤُاْ﴾ ولم تزد اعتباطا كما ترى .

هذا وبقيت كلمات أخرى زيدت فيها «الواو» في رسم المصحف الشريف في مواضع ، ولم تزد في أخرى ، مثل :
﴿ٱلۡمَلَأُ﴾ / ﴿شُرَكَـٰٓءُ﴾ / ﴿شُفَعَـٰٓءَ﴾ / ﴿ٱلۡمَلَؤُاْ﴾ /
﴿شُرَكَـٰٓؤُاْ﴾ / ﴿شُفَعَـٰٓؤُاْ﴾ .

نكتفي بمجرد هذه الإِشارة إليها خشية الإِطالة ، ولن يعجز القارئ عن توجيه الزيادة فيها بعد الذي أوضحناه ، ونرجو أن يكون فيه بلاغ لقوم يعلمون .

الفهرس